الحب المتبادل

الطبعة الثانية

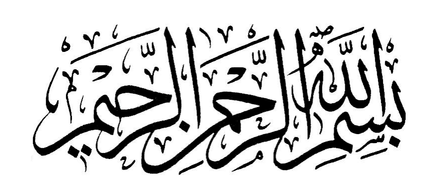
١٤٢٥هـ

المدرسة المدنية
(٢٦)

الحب المتبادل

« اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ ؛
كحبِّنا مكةَ أو أشد ». متفق عليه

الفقير إلى رحمة ربه
خليل بن إبراهيم مُلّا خاطِر العزَّامي
أستاذ الحديث وعلومه
بجامعة طيبة بالمدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمٰن الرحيم ، مٰلك يوم الدين .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزدنا علماً .

اللهم لا سهلَ إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئتَ سهلاً ، فيسِّر لنا أمورَنا ، واختم لنا بالسعادة ، إنك على كل شيء قدير .

أما بعد :

ـ سبب تأليف هذه الرسالة :

فقد جاءني خطاب معالي الأخ الكريم الدكتور أحمد محمد علي ، رئيس البنك الإسلامي ـ سلمه الله تعالى وأعانه على مهمته ـ يدعوني مشاركَتَهم الدعوة ، بمناسبة انعقاد ندوة مجلس المديرين التنفيذيين للبنك الإسلامي ، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، والمنعقدة في المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ، وذلك يوم الثلاثاء (٢٢ / ٥ / ١٤٢٤ هـ) وكانت مفاجأتي حين طلبوا مني محاضرة ، شريطةَ أن تكون روحيةً ، لا مادية ولا عقلية ، ليخرجوا من الجو الذي يعيشون فيه ، إذ أيامهم كلها مادة ، حيث الحسابات ، والدفاتر ، والملايين ، والبنوك ، والأرقام ،...إلخ.

وفكرت في هذه المفاجأة ، وكيف الخلاص منها ، خاصة وقد شرط بعضُ

الأعضاء أن تكون متعلِّقةً بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فتذكرت أني كنت قد جعلتُ عنوان خاتمة مختصر فضائل المدينة المنورة (الحب المتبادل) يعني بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين المدينة المنورة ؛ بكل ما فيها ؛ من جماد ونبات وحيوان وإنسان ، بل المدينة كلها . فلم أر خيراً من ذلك ، لأني لو تحدثت عن الحب بأنواعه فلن أستفيد ، ولن يستفيدوا ، ولن يعودوا إلى بلادهم بزادٍ يحملونه ، بمثل ما لو تحدَّثتُ عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأيامِه في هذه البلدة المنورة المباركة الكريمة ـ التي أحبَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وطلب من الله تعالى أن تكون أحبَّ إليهم من جميع البلدان ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ خاصة والندوة منعقدة في المدينة المنورة .

لذا كان حديثي مع الأخوة الكرام ـ وهم من جنسيات مختلفة ، وكانت الترجمة فورية لمن لا يحسنون العربية ـ عن هذا الموضوع ، عن الحب المتبادل ؛ بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين المدينة المنورة ؛ بما حوته من جماد وحيوان ونبات وإنسان ،... وكيف قابلهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بحبٍّ أكثر من حبهم ، وحرصٍ أكثر من حرصهم ، ووفاءٍ أكثر من وفائهم ، وفداءٍ أكثر من فدائهم ،... لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أهل الوفاء والكرم والفضل والجود والحب والفداء ،...

ولما رأيت تأثرَ الأخوة الكرام الحاضرين وبكاءَهم ،... ورغبةَ بعض الأخوة طبعَها ليعمّ نفعها ، راجياً منه تعالى قبولها ، وإدراجها في سجل من طلبها ورغب فيها ، ومن اقترحها ـ فكان السبب في ذلك ـ وأن يجعلها في ميزان حسناتي

يوم ألقاه ، ويجعل مكافأتي فيها مرافقة حبيبه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وبه أصول وأجول ، وعليه اعتمادي ، ومنه أستمد العون لا من سواه .

أسأله تعالى أن يكرمنا والمسلمين بمحبة رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومحبة كلِّ ما يتصل به ؛ من إنسان وحيوان ونبات وجماد وبلد ومكان ومآثر ،...إلخ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

وصلّى الله تعالى وسلَّم على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد ، وعلى آله الطيبين الكرام ، وصحابته المبجَّلين الأخيار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة **وكتب**

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة



معرفة المخلوقات بالنبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ومحبتها له

قبل البدء في بيان الحبِّ المتبادل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين المدينة المنورة لا بد من ذكر مقدمةٍ مختصرةٍ على معرفة ذرات الكون لهذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومحبَّتِها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع بيان وجوب محبَّتِه صلى الله عليه وآله وسلَّم على جميع ذرات الكون ، لأن الله تعالى جعله رحمةً لهم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولىٰ بالمؤمن المسلم من نفسه ؛ في الدنيا والآخرة ، ثم بيان ما يجب على ساكن المدينة بالذات من وجوب محبَّته له صلى الله عليه وآله وسلَّم وكلِّ ما يتصل به .

ـ معرفة الكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد عرفَتْ ذراتُ الكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من يوم الخلق الأول ، واختيار الله سبحانه وتعالى لهذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ ليكون رحمةً لهذا الكون ، بكل ما فيه من مخلوقات .

ألم يقل الله جل شأنه له : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

والعالَمون : كلُّ ما سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته جل شأنه ، أما ترى قول الله سبحانه وتعالى لموسى وهٰرون عليهما السلام : ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[2].

(١) سورة الأنبياء (١٠٧).

(٢) سورة الشعراء (١٦ – ٢٤).

فكل من كان الله جل شأنه له ربّاً ؛ فقد جعل رسولَه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له رحمة[1].

كما أن الله تعالى جعل جميع ما في الكون ـ من جمادٍ ونباتٍ وحيوان وإنسان ـ يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويؤمنون به ، إلا عاصي الجنِّ والإنسِ .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من سفر ،... الحديث ـ في قصة سجود الجمل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وفيه : فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ، إلا عاصي الجن والإنس ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وعبد بن حُميد والطبراني والبزار في آخرين ، كما ورد عن عدد من الصحابة ، ومن طرق متعددة .

لذا قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى : هذه طرق جيدةٌ متعددةٌ تفيد غلبة الظن ، أو القطع[2].

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم رحمةً للكائنات ، وهي تعرفه وتؤمن به ـ إضافة لما خصه الله تعالى به ومنحه إياه ـ فكيف تحبه وتتعامل معه ؟

هذا ما سنرى بعضه بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر : الرحمة المهداة ﷺ ، ومكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام .

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣١٠) وسنن الدارمي (١ : ١٩رقم ١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٣) ومسند عبد بن حُميد (٣٣٧ رقم ١١٢٢) وكشف الأستار (٣ : ١٥٠ - ١٥١) والمعجم الكبير (١٢ : ١٥٥) (٢٢ : ٢٦١ - ٢٦٢) والأحاديث الطوال (٣٠٦ - ٣٠٧ رقم ٥٤) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ - ٤٩٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠) ودلائل النبوة للتيمي (١٢٩ ، ١٥٨رقم ١٣٩ ، ١٨٣) وعلامات النبوة (١٢٥ - ١٢٦) وانظر : كنز العمال (١١ : ٤١٧) والشمائل لابن كثير (٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٢٧٠) ومجمع الزوائد (٩ : ٤ - ٧) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ٣٩٢) مكانة النبي الكريم ﷺ (٤٣ - ٤٤).

ـ ضيق باب الحب ، وعدم إمكانية بيان حقيقته :

إن الحديث عن الحب بابه ضيِّقٌ ، وشائك ، وفضّاح ، ولا تحسن العبارات فيه دائماً ، لأنها قاصرة ، ولا يمكن نقل كل ما حواه الجنان ، وطوى عليه الضمير ، ولا يمكن البوح بكل خلجات الصدر ، لأنه أمرٌ مخفيٌّ ، لا يعلمه إلا خالقه جل شأنه ، كيف وقد قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما يجدون ، فأجابهم بما رفع العذر عنهم .

إن الحديث عن الحب إذا كان عالياً ليس كالحديث عن الحب العذري ، أو الحب الرخيص ، أو الساقط ،... إنما هو حب يختلف في مبناه ومعناه عما سبق ، هو خلجاتٌ في جوانح الكون الذي عرفتْ ذراتُه مَن هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . لذا أحبته لأمور كثيرة ، ابتداء من كونه صلى الله عليه وآله وسلَّم بمثابة الوالد لها ، وانتهاء بكونه صلى الله عليه وآله وسلَّم رحمةً لها ، مروراً بما حواه من صفات الجمال والكمال ، في الذات والصفات ، وما خصَّه الله سبحانه وتعالى به من الخصائص والميزات عن سائر المخلوقات ، التي لا توجد عند أحد من الخلق سواه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

ـ مراتب الحب :

إن الحب ـ كحب ـ أنواع ودرجات ذكرتها في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد)[1]. فمن لم يحظ بأرقاها وأعلاها فلا تفوت

---

(١) محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (١٠١ - ١٠٦).

وهذه هي رؤوس عناوينها : محبة الإنسان نفسه [الأنانية] ثم المحبة الجِبِلِّية ، ثم المحبة الغريزية ، ثم المحبة الفطرية ، ثم محبة المشاكلة واتحاد الصفة ، ثم محبة المصلحة والمنفعة ، ثم المحبة الروحية ، ثم محبة الصفات الكاملة .

عليه أوساطها ، ومن لم يتحقق بها ورد من أنواعها ومظاهرها ـ كما سأذكره مما بدا من قاطني المدينة المنورة ـ فلا يفوته على الأقل ـ محاكاتهم ، والتشبه بهم .

إنْ لَمْ تَكُونوا مِثْلَهُم فَتَشَبَّهُوا   إنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرامِ فَلاح

والحب لا يظهر في حقيقته ، إنما تظهر آثاره ، ومن ادعاه كشفته شواهد الامتحان ، نسأل الله تعالى الحفظ والأمان .

ـ وجوب محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المؤمنين أن يكون حبُّه صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبَّ إلى أحدهم من كلِّ المخلوقات ، من النفس إلى الأموال ، مروراً بالآباء والأبناء والأقارب والعشيرة ، والناس كلهم ، والمساكن والتجارات ،...إلخ.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده ». رواه البخاري[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ». متفق عليه[2].

وفي رواية لمسلم[3] عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يؤمن عبدٌ ـ وفي رواية الرجلُ ـ حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم من الإيمان .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، رقم (٧٠).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٩).

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ـ فقال له عمر : يا رسول الله ؛ لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلا من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا ، والذي نفسي بيده ، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك » فقال له عمر : فإنه ـ الآن ـ والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الآن يا عمر ». رواه البخاري[1].

فحصل من مجموع هذه الأحاديث الشريفة : وجوبُ تقديم محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على محبة النفس والوالد والولد والأهل والأقارب والمال والناس أجمعين ، وسيأتي في الآية الكريمة زيادةٌ على ما في هذه الأحاديث .

ـ تحذير الله عز وجل من تقديم محبة المخلوقات على محبة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد حذَّر الله تعالى من تقديم محبة المخلوقات ـ مهما كانت ـ على محبَّته تعالى ومحبة نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم . وهذا يعني وجوب تقديم محبته تعالى ومحبة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على محبة كل المخلوقات مهما كانت .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنذور : باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم .

(٢) سورة التوبة (٢٤).

وبهذا اكتملت مفردات الكون (نفس ، والدان ، أولاد ـ من ذكور أو إناث ـ أخوة ـ من ذكور أو إناث ـ أزواج ، أهل ، أقارب ، عشيرة ، جميع الناس ، أموال ، تجارة ، مساكن) فيجب تقديم محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم على محبة جميع ما ذكر . فهل المسلمون على هذا المطلب ؟ أرجو الله تعالى . خاصة والتهديد الذي ختم الله تعالى به الآيةَ الكريمة يقطع نياط القلوب .

والحب ذوقٌ وشعور وخلجات مخفي ؛... يدفع صاحبه على التخلق بالإيمان ، والاتصاف بصفات المحبوب ، ومحاكاته في الأقوال والأفعال ، والأخلاق والأحوال ، ولا يمكن التعبير عنه باللفظ ، إذ ليس له سوى الذوق إفشاء ، إنما تفضحه الأحوال ،... وما يصدر عن صاحبه من تصرفات ، والله تعالى أعلم .

ـ ثواب المحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن أحبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك الحبَّ الذي طلبه الله تعالى ، وذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في الأحاديث الشريفة نال ميزات كثيرة جدّاً ؛ كتذوق حلاوة الإيمان ، ومحبة الله تعالى له ، واشتياق النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لرؤيته ، وحصول السعادة له في الدارين ، وإعطائه صفة الإيمان ، وحشره تحت العرش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ودخوله الدرجات العليا من الجنة ، ومرافقته له صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... وغيرها كثير ، كما بينتُه في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجهاد).

لكن من أهم تلك الميزات : معيته وقربه الدائمان ؛ منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد تواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك[1].

(١) انظر : لقط الآلئ (٨٥) ونظم المتناثر (١٢٩) والأزهار المتناثرة (٢٦) وقطف الأزهار (١٦٨ – ١٧٠) وفتح الباري (١٠ : ٥٦٠).

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : يا رسول الله ؛ متى الساعة ؟ قال : « ما أعددت للساعة ؟ » قال : حبَّ الله ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت ».

قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فإنك مع من أحببت ».

قال أنس : فأنا أحب الله ورسولَه وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم ،... متفق عليه[1] ولهما رواية أخرى بنحوه .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كيف ترى في رجل يحبُّ قوماً ولـمّا يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « المرء مع من أحب ». متفق عليه[2].

وروياه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أيضاً .

فإذا كان الجواب ـ كما في حديث أنس رضي الله تعالى عنه ـ يدل في ظاهره على الخصوصية ، فإن ما جاء في حديثَي ابن مسعود وأبي موسى رضي الله تعالى عنهما فإنه يفيد في ظاهره العموم « المرء مع من أحب » ليكون شاملاً لكل محب ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب... رضي الله تعالى عنه ، وكتاب الأدب : باب علامة الحب في الله . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب المرء مع من أحب ، رقم (١٦١ - ١٦٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : الباب السابق ، وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٥).

علماً بأن هذا الحب ـ بهذه الحالة ـ هو واجب شرعاً ، لمجيء الأمر به ، وتحذير الله تعالى من تقديم محبة أي مخلوق عليه ، خاصة مع وجود التهديد بالتربص ، والحكم الشديد الذي خُتمت به الآية السابقة ، ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

ـ النهي عن تقديم المؤمن نفسه على نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد أمر الله جل شأنه أهلَ المدينة ـ على اختلاف أجناسهم ـ ومن حولها أن يقدِّموا نفسَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على نفوسهم ، ورغباتِ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على رغباتهم ، ولا يقدموا شيئاً من ذلك على ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد جاء التحذير من ذلك كله .

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ﴾[1]

والرغبة أمر مخفي ، لا يطَّلع على حقيقته إلا الله تعالى ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى من تقديم النفس ـ وهي أغلى ما يملكه الإنسان ـ على نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومعنى هذا لا بد أن يكون هوىٰ المؤمن على هوىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومحابُّه على محابِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

وكيف لا يقدمون نفسَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وروحَه الشريفة على نفوسهم وأرواحهم ؛ وقد أُمروا أن يحبوه صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من

---

(١) سورة التوبة (١٢٠).

محبتهم أنفسهم وأهليهم وذراريهم ،... ثم هو صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فوق ذلك ـ أولىٰ بهم من أنفسهم .

وإذا كان هذا الحب ـ بهذا المطلب ـ مطلوباً من جميع المؤمنين ؛ حضروا أم غابوا ، قربوا أم بعدوا ، فهو من سكان المدينة المنورة أولىٰ وآكد ، لشدة قربهم ، ومساكنتهم ، وهذا ما ظهر منهم ، كما سنرى ، والله تعالى أعلم .

ـ محبة أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد ضرب قاطنو المدينة المنورة ؛ من جماد ونبات وحيوان وإنسان ـ بل المدينة ككل ـ المثَلَ الأعلى في محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد ظهرت محبتهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم بمظاهر متعددة ، كلٌّ حسب حاله وخَلْقِه ، وما يملكه ، فمحبةُ الإنسان ، غير محبة الجماد ، وهي غير محبة النبات ، وهي غير محبة الحيوان ، ومحبتُهم جميعاً غير محبة المدينة ـ كمدينة ـ له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إذ كلُّ واحد عبَّر عن محبته بما يقدر عليه ،...

إن الجماد والنبات والحيوان في المدينة المنورة ـ كالإنسان ، بل كالمدينة نفسها ـ قد أحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد عبَّر كلُّ واحد منها عن حبه بما يلائمه ، وهذا من الإدراك ، والجماد يدرك ـ وإن كان كثير من الناس لا يعلمون ذلك ـ ومظاهر الإدراك كثيرة جدّاً ، وقد ذكرت ذلك في كتاب ألّفته في هذا الصدد[1] وهو كتاب ضخم ، ذكرت أدلته من القرآن والسنة الصحيحة لا غير . وأن من مظاهر ذلك الإدراك : الحب .

---

(١) انظر : سلسلة (بين الإنسان والجماد) ففيها أربعة كتب ، طبع بعضها ، وأرجو الله تعالى الإعانة على طبع الباقي وهي : (الإدراك عند الجمادات . معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد . شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ . ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد).

ـ **مظاهر الحب :**

وللحب مظاهر متعددة ؛ منها التعظيم والتوقير والتكريم والفداء ، والتأدب مع المحبوب ، والحرص عليه ، والخوف عليه ، والشوق إليه ، والحنين إليه ، والغيرة عليه ، وتعظيم ما يتصل به ،... والتعبير عن حبه ، والعمل على إرضائه ، وعلى عدم إزعاجه ، والحيلولة دون ما يسخطه ، والدفاع عنه ، والحزن على فراقه ،...إلخ.

ومن مظاهر المحبة أيضاً : الاتباع ، والطاعة ، مع ما بينهما من فوارق ، إذ كل اتباع طاعة ، وليس كل طاعة اتباعاً ، فالاتباع نابع من المتَّبع مع تعظيم المتبوع ومحبته ، بينما الطاعة هي مرتبطة بالأمر والنهي ، سواء كان عن محبة أو لا .

قال الله تعالى ـ على لسان هٰرون عليه السلام ـ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾[1] والعطف يقتضي المغايرة ، كما هو معلوم .

ولهذا نرى الطاعة جاءت لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بينما الاتباع فقد جاء مقيَّداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنه لا بد من مُتَّبَع مشاهد مرئيٍّ ، ولو كان معنويّاً .

والاتباع أخصُّ وأدق وأشد من الطاعة ، ألا ترى أن الآيات في الطاعة زادت على الثلاثين ، بينما في الاتباع فهي ثلاث ؛ واحدة في الأمر ، والثانية في الإخبار ، والثالثة في الطلب . وقد أوضحت الفارق بينهما في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين إنسان والجهاد) فانظره إن شئت ، والله تعالى أعلم .

وكل ذلك حصل من الصحابة الكرام ساكني المدينة المنورة رضي الله تعالى

---

(١) سورة طه (٩٠).

عنهم وأرضاهم وقد فعل ، ومن قاطنيها الآخرين ، من جماد ونبات وحيوان ،... والله تعالى أعلم .

ـ من المقصود بأهل المدينة :

أهلُ المدينة المنورة هم كلُّ من سكن فيها ، سواء كان من أهلها الأصليين أو من غيرهم ، ذلك لأن الله تعالى لما عاتب أهلَ المدينة المنورة ـ حين تخلَّف بعضُهم عن اللحاق برسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم غزوة تبوك ـ جاء النص في القرآن الكريم عامّاً شاملاً لكل ساكن فيها .

فقال جل شأنه : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(١)

وكان أهلُ المدينة المنورة حين خروجه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة تبوك ، أربعة أصناف هم : المهاجرون ، والأنصار ، ومن مسلمة الفتح ، ومن القبائل العربية الأخرى التي استوطنت المدينة .

لذا فأهلُ المدينة الآن هم (أهلها الأصليون ، والقاطنون المجاورون فيها ، والمقيمون فيها ، سواء إقامة طويلة أو قصيرة) لذا لن أستثني واحداً من سكانها ، طالما أن النص قد شمل أمثالهم ، والله تعالى أعلم .

ـ مسؤولية ساكن المدينة :

لقد وقع في نفسي أن المسؤوليةَ على ساكني المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام كبيرةٌ جدّاً ، حيث يلزم منهم أن يكونوا كأهل المدينة القدامى في تعاملهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا ينقصوا عنهم ، فلا يكونوا دون الجهادِ

---

(١) سورة التوبة (١٢٠).

(أُحُدٍ) في محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا يكونوا دون (الجذع) في حنينهم وشوقهم إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحزنهم على فراقهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا ابتعدوا عنه ، ولا يكونوا دون (الوحش) في أدبهم وخوف إيذائهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا يكونوا دون (الجَمَل) في تعظيمهم وتوقيرهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا يكونوا دون (الشاة) في حرصهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا يكونوا دون (المنبر) في خشيتهم ، وتجاوبهم معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

كما على ساكن المدينة المنورة أن يشابهوا أو يشاكلوا المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ؛ من سكان المدينة ، في اقتفائهم واتباعهم ،... وفدائهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يشابهوا أو يشاكلوا الأنصار رضي الله تعالى عنهم ؛ في الفداء والمحبة والحرص والتعظيم والتوقير ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

إنْ لَمْ تَكُونوا مِثْلَهُم فَتَشَبَّهُوا إنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرامِ فَلاح

ـ محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة :

من المعلوم أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وُلد ونشأ وترعرع ،... في مكة المكرمة ، وقد جبل الله تعالى الإنسانَ أن يحب البلد الذي نشأ وعاش فيه ، لما فيه من ذكريات وصلات ،...إلخ، وقد وضح هذا من خلال جوابه صلى الله عليه وآله وسلَّم لورقة بن نوفل ، لما أخبر النبيَّ المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم أن قومه سيعادونه ،... لم يتكلم ، فلما قال له : وإنهم سيخرجونه من مكة قال : « أو مخرجيّ هم ! »[1] دلالة على حب الوطن .

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي : الباب (٣) حدثنا يحيى بن بكير . وفي غيرهما . وصحيح مسلم : =

ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم لمكة ـ حين خروجه صلى الله عليه وآله وسلَّم منها ـ : « ...ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خرجتُ » كما رواه أحمد والدارمي والنسائي وابن ماجه ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه ، في آخرين[1].

فلما قدم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة المنورة دعا الله تعالى أن يحبِّب إليهم المدينةَ كحبهم مكة أو أشد منه .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ـ في قصة مجيء الصحابة المهاجرين رضي الله تعالى عنهم إلى المدينة ، وإصابتهم بالحمى ، فصاروا يهذون ، الحديث ، وفي آخره ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبِّنا مكةَ أو أشد ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

و (أو) بمعنى (بل) يعني : بل أشد من حبنا لمكة .

فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعوة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فصارت أحبَّ إليهم من كل البلدان ، وقد ظهر حبه صلى الله عليه وآله

= كتاب الإيمان : باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٥٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٠٥) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب ما جاء في فضل مكة ، رقم (٣٩٢٥) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب فضل مكة (٢ : ٤٧٩ – ٤٨٠) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب ما جاء في فضل مكة ، رقم (٣١٠٨) وسنن الدارمي (٢ : ١٥٦ رقم ٢٥١٣) ومسند عبد بن حُميد (١٧٧ – ١٧٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٢) والمستدرك (٣ : ٧ ، ٢٨٠ ، ٤٣١) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ١٠٦) وكلهم من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله تعالى عنه ، وورد بنحوه من حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

وسلَّم لها بمظاهر متعددة ، كما سنراه إن شاء الله تعالى بعد قليل .

كما أن الملاحظ ؛ أن دعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم إنما جاءت للمدينة ، ولم يخص فيها شيئاً منها ، فشملت دعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ والله تعالى أعلم ـ كلَّ ما في المدينة ، وكلَّ ما حوته المدينة ، من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وأشجار ، وجماد ، ويشمل ذلك كلَّه : المدينة ، والله تعالى أعلم .

ـ على ساكن المدينة أن يحب كلَّ شيء فيها :

إن من واجب ساكن المدينة المنورة ـ خصوصاً ـ أن يحب كلَّ ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يحبه ، لأن ذلك من أولىٰ واجبات المحبة . لأن من لوازم المحبة أن يحب المحب كلَّ ما يحبُّه محبوبه ؛ من طعام ، وشراب ، ولباس ، ومكان ، وزمان ،... وغير ذلك ، بصرف النظر عن نوعية الحب .

ألا ترى إلى أمر الله تعالى للملائكة أن يحبوا من يحبه جل شأنه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبَّه ، فيحبُّه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهلُ السماء ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[(١)].

وإلى دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، فقال عن الحسن وأسامة رضي الله عنهما ـ : « اللهم إني أحبُّهما فأحبَّهما ». رواه البخاري[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب إذا أحب الله عبداً حبَّبه إلى عباده ، رقم (١٥٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم عن الحسن رضي الله تعالى عنه : « اللهم إني أحبُّه ، فأحبَّه ، وأحبب من يُحبُّه ». متفق عليه[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما : « ...من أحبني ؛ فليُحب أسامةَ ». لفظ مسلم[2].

والنصوص في ذلك كثيرة ، والحمد لله تعالى .

فإعلانه صلى الله عليه وآله وسلَّم عن محبَّته لهم هو إبلاغٌ لكل المسلمين أن يحبّوهم ، لأن هذا هو شأن المحب .

وألا ترى كيف صار أنس رضي الله تعالى عنه يحب اليقطين منذ رأى النبيَّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يحبه ، حتى صار لا يألو أن يصنع له في كل طعام يستطيعه ، كما ثبت عنه رضي الله عنه[3] وقد توسعت في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجهاد) في ذلك .

فمن كان محبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فليحب كلَّ ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يحبه ، يلزمه أن يحب جمادَ المدينة ، ويحب نباتَ المدينة ، ويحب حيوانَ المدينة ، ويحب مآثرَ المدينة ، ويحب إنسانَ المدينة ، بل يلزمه ـ محبةً ـ أن يقدِّم ذلك على محبة كلِّ ما شابهه خارج المدينة ، كما يلزمه أن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب ما ذكر في الأسواق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، رقم (٥٦ – ٥٩) وانظر : محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجهاد .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب حديث الجساسة ، رقم (١١٩).

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب الخياط ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز أكل المرق ، واستحباب أكل اليقطين ، رقم (١٤٤ ، ١٤٥).

يقدِّم محبةَ المدينة على محبة أي بلد آخر مهما كان[1] لفرط محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها على غيرها ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

لأن هذا هو شأن المحب ، حتى لو لم يكن الحب عالياً ، ألا ترى إلى مجنون ليلى كيف ضُربت به الأمثال ، وصار علَماً على الحب .

رأى المجنون في البيداء كلباً ... فجرَّ لـه من الإحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة إن عيني ... رأته مرة في حي ليلى

فقد رآه مرة في حي محبوبته فأكرمه ، فكيف لو كان مقيماً فيه ثابتاً ؟

ولو تكلمت عن صفات المحبين ، وعن أحوالهم ، والشواهد على صدقهم ، وأنواعهم ،... فسيخرجنا ذلك عن الإيجاز ، بل عن الموضوع نفسه .

لذا يلزم كل من يدَّعي محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يحبَّ كلَّ ما يتصل به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يقدِّم ذلك على محبة نظائره ، ولو كان قريباً لصيقاً به .

هذا واجبٌ على كلِّ مسلم ، محبةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنها بلدُه ، ومنشؤه ، ومثواه ،... فكيف إذا أُضيف إلى ذلك دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يجعل الله تعالى حبهم لها أكثر من حبهم لمكة ، كما مر « أو أشد ».

كما أن من لازم الاتباع والمحبة أن يحب كل ما يحبه المحبوب ، كما مر في الأحاديث ، والله تعالى أعلم .

أَمّا لِمَ أَحبتْ المدينةُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هذا الحبَّ الذي لم

---

(١) لقد كتبت عن المدينتين المكرمتين (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة) (٧) سبعة كتب ، سوى هذا فانظرها .

يُعرف في غيرها ، ولِمَ أحبَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأكثر ، بحيث لم يُعرف لغيرها ، فهذا ما نراه في الرسالة ، إن شاء الله تعالى ، وانظر قُبيل خاتمة الرسالة .

أسأله تعالى أن يكرمنا والمسلمين بمحبة رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومحبة كلِّ ما يتصل به ؛ من أهل وأصحاب وأحباب وإنسان وحيوان ونبات وجماد وبلد ومكان ومآثر ،...إلخ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

وصلّى الله تعالى وسلَّم على سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد ، وعلى آله الطيبين الكرام ، وصحابته المبجَّلين الأخيار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

والحمد لله رب العالمين .



الحبّ المتبادل
بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبين المدينة

ـ العوامل الحاملة على محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد جعل الله تعالى رسولَه المصطفى الكريمَ وصفيَّه المختار العظيم ،... صلى الله عليه وآله وسلَّم خيرَ خلقه ، وسيدَ رسله عليهم السلام ، بل سيد الناس أجمعين .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسةً ، وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ،... ». الحديث بطوله ، في قصة الشفاعة العظمى يوم القيامة ، متفق عليه[1].

وتخصيص يوم القيامة بالذكر ـ مع أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم سيدهم في الدنيا والآخرة ـ لأن ذلك اليوم ينكشف الغطاء ، وتزول فيه الدعاوى ،... وتضمحل الادعاءات والمجازات ، ولا تبقى سوى الحقائق ، ولا سيادة إلا له ، فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم السيد الحقيقي من البشر ، فلا سيادة يوم القيامة إلا له .

وهذا على ميزان قوله تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[2] حيث قيد ذلك بيوم القيامة ، مع أنه تعالى هو مُلك الملك في الدنيا والآخرة .

ولكن يوجد في الدنيا أدعياء للملك ، كما يوجد مَلِكٌ مجازاً ، أما يوم القيامة فلا أدعياء ولا مجاز ، إنما هو المالك الحقيقي ، سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧ ، ٣٢٨).

(٢) سورة غافر (١٦).

كما اصطفاه الله تعالى من جميع خلقه ، والاصطفاء دلالة على الخيرية والكمال أيضاً .

فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[1] وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة .

فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ ، لأن هذا هو مقتضى الاصطفاء .

كما جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، فقال جل شأنه : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ». متفق عليه[3].

وهذه الولاية ليست خاصةً بزمن معيّنٍ ، بل هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم في الدنيا والآخرة ، والله تعالى أعلم .

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما من مؤمن إلا وأنا أولىٰ به في الدنيا والآخرة ». متفق عليه[4].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١).

(٢) سورة الأحزاب (٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب الدَّين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٤).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الاستقراض : باب الصلاة على من ترك دَيناً . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥).

كما جعله الله تعالى رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ، حريصاً عليهم ، يعز عليه ما يشق عليهم .

فقال جل شأنه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

بل أكثر من ذلك فقد جعله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين .

فقال عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2].

والعالَمون ـ كما قلت ـ كل ما سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته ، فيدخل في ذلك : السمٰوات والأرض وما بينهما ؛ من بحار وقفار ، وجبال ووديان ، ونبات وثمار ، وأنهار وبحار ، وما بين ذلك ؛ من الهواء والطير ، والحيوان والإنس والجان ، والجامد والسائل ، والساكن والمتحرك ، وما يحتوي عليه الجو ، وباطن الأرض ، وأعماق البحار ، وما نراه وما لا نراه ،... ويشمل المؤمنين والكافرين ، كما أوضحته في عدد من كتبي . إذ كل من كان الله تعالى له ربّاً فقد جعل نبيَّه الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم له رحمة ، والله جل شأنه ربُّ العالمين ، والنبي المصطفى الكريم رحمةٌ للعالمين ، والله تعالى أعلم .

كما جعل الله عز وجل جميع الكائنات ؛ من حيوان ونبات وجماد وإنسان ، يعرفونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ويؤمنون به ويحبونه ويعظمونه ،... إلا ما كان من فسقة الجن والإنس ، وقد سبق قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ، إلا عاصي الجن والإنس ».

---

(١) سورة التوبة (١٢٨).

(٢) سورة الأنبياء (١٠٧).

والذي رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وعبد بن حُميد والطبراني والبزار ، في آخرين ، وقد سبق ذكره قبل قليل .

إضافة لما اتصف به صلى الله عليه وآله وسلَّم من صفات الجمال والكمال[1] ،...إلخ.

وكل ذلك يستدعي أن يُحَبّ ويعظَّم ويوقَّر ويحترم ،...

وهذا ما غرسه الله تعالى في قلوب وذرات الكائنات ، لأنها عاقلة ، إذ ليس في الكون ما لا يعقل أو يدرك ، وإن كنا نحن لا نعلم ذلك ، لأنه مخفيٌّ عنا ، ولا نفهم لغتَها ، ولا نحسُّ بإدراكها ، إنما يعلمها خالقها ، الذي أخبرنا بذلك ، إلا إذا كشفه تعالى لخلقه ـ معجزة أو كرامة ـ وبيَّن لنا جل شأنه ضعفنا عن إدراك ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[2] وقد أوضحت ذلك في (الإدراك عند الجمادات) وغيره .

ـ جماله صلى الله عليه وآله وسلَّم محاط بالجلال :

لقد حوىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الجمال والكمال ؛ الباطني والظاهري ، إذ لم أجد جمالاً في أي عضوٍ في الإنسان ؛ إلا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد اتصف به ، حتى كأن العرب ـ سواء في جاهليتهم أو في إسلامهم ـ إنما يصفون أعضاءَه الشريفة ،...

ومع هذا فإنا لم نر النساء اللائى رأينه صلى الله عليه وآله وسلَّم ذبحن أنفسهن ، ولا قطَّعن أيديهن ، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم حوىٰ الجمالَ كلَّه ، والكمالَ

(١) انظر : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره ﷺ ، ومكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، والأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، وفضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم .

(٢) سورة الإسراء (٤٤).

كلَّه ، ولم يكن في الخلق أجمل منه ، ولا أكمل ، كما أوضحته في الشمائل .

بينما يوسف عليه السلام قد أُعطي شطر الحسن ؛ فلما رآه نسوة القصر ؛ ذُهلن عن أنفسهن ، وغِبن عن إحساسهن ، وتهن بجماله ،... وسُحِرن بخياله عليه السلام ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[1] .

ولم يقع مثل هذا ولا جزء منه ـ بل لعله لم يخطر على البال ـ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ذلك لأن الله تعالى كسا جمالَ نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالجلال ، ولولا ذلك ـ مع حفظه جل شأنه له ـ لفُعل به أكثر مما فُعل بيوسف عليه السلام من الافتنان ، لكنها المهابة التي كساه الله تعالى بها .

فعن عَمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : ...وما كان أحدٌ أحبَّ إِلَيَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أُطيقُ أن أملأ عيني منه ؛ إجلالاً له ، ولو سُئلتُ أن أصفَه ما أَطقتُ ، لأني لم أكن أملأ عيني منه ،... الحديث ، رواه مسلم[2] .

وهذا ليس خاصّاً بعَمْرو رضي الله تعالى عنه ، بل هو حال عامّة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما أوضحته في (الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من الجذع إلى ثوبان) وَ (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد) .

ذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم جمع ـ من ضمن ما أكرمه الله تعالى به ـ

---

(١) سورة يوسف (٣١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون الإسلام يهدم مل قبله ، وكذا الهجرة والحج ، رقم (١٩٢).

بين أمرين متقابلين ؛ بين الجاذبية نحوه ؛ لذا أُحب غايةَ الحب وأشدَّه ، وعُظِّم غاية التعظيم ، وبين الجلال ، فيُهاب ، لذا فمن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبه[1].

لذا كانوا رضي الله عنهم إذا جالسوه صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يرفعوا رؤوسهم نحوه ، ولم يحدّوا النظر إليه ، هيبةً وإجلالاً وتعظيماً ، وإذا كلّموه صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يرفعوا أصواتهم ؛ احتراماً وتقديراً ،... بعد أن أدّبهم الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

ـ إحاطة معجزاته صلى الله عليه وآله وسلَّم بالحفظ والأمان :

لقد أجرى الله جل شأنه على يد رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من المعجزات والخوارق ؛ ما لا تحتمله العقول ، ورآها الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فلم يفتنوا به ، ولم يعبدوه ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام معجزات ، وقد تنوعت معجزاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فمنها العلوي والسفلي ، والساكن والمتحرك ، والظاهر والباطن ، ومنها معجزات لم يظهر نظائرها على أيدي السابقين ، بل ما من معجزة حصلت لنبي أو رسول ، إلا وحصل للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ما هو أكبر منها ، بل حصل نظيرها في أمته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما أوضحته في (مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الأنبياء عليهم السلام).

ومما أُعطيه صلى الله عليه وآله وسلَّم : حنين الجذع ، وإخبار الشاة المسمومة

(١) انظر شمائل الرسول الأمين ﷺ ، فقد توسعت في بيان ذلك .

له صلى الله عليه وآله وسلَّم بأنها مسمومة ، وإخبار الشاة له صلى الله عليه وآله وسلَّم أنها ذبحت بغير إذن أهلها ،... وإخبار الشجرة له صلى الله عليه وآله وسلَّم بوجود الجن يستمعون قراءته وهم خلفها ،... وغير ذلك كثير ، وكل ذلك أكبر من حيث الواقع والحقيقة من إحياء الموتى ، ومع هذا فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يُعبد ، كما أوضحته في غير هذه الرسالة .

بينما عيسى عليه السلام أعطاه الله تعالى إحياءَ الموتى ، وأجرى ذلك على يديه ، فعبده النصارى ، وادعوا أنه إلٰه ، وأنه ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثة ،...

إن معجزاته صلى الله عليه وآله وسلَّم محاطة بسياج الأمان والحفظ ، وهي تحمل في طياتها إكرامَ الله تعالى لنبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فهو عبده ورسوله ، وهو مخلوقه وخليله ، وهو مصطفاه وحبيبه وسيد رسله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا لم يخطر على بال أحد من أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم أنه إلٰه ، أو ابن إلٰه ، أو يدّعي ذلك له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

ـ حفظ الله تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يُعبد :

لقد صان الله تعالى نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يُعبد ، أو أن يُتخذ ندّاً لله تعالى ، أو يُدّعى أنه إلٰه ، أو ابن إلٰه ، أو شريكٌ لله تعالى وذلك :

ـ بما كرره الله جل شأنه من بيان حقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو أنه بشرٌ ، وأنه عبدٌ لله عز وجل ،...

ـ وكذا ما كرَّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نفسه في مواطن كثيرة ؛ أنه عبدٌ لله تعالى . وأنه ابن امرأة من قريش ،...

لقد وصف الله تعالى رسولَه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو في أعلى مقامات القرب بالعبدية ، ليزيل عن أذهان الناس ما يمكن أن يوقعه الشيطان في نفوسهم من دعوى الإلهية ، خاصة والدواعي إلى ذلك متوفرة ؛ من اصطفاء الله تعالى لنبيِّه العظيم ، وشدة محبة الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وما أجراه على يديه من خوارق ومعجزات ، وما أكرمه جل شأنه به من إكرامات لا توجد لأحد من الخلق ، بل لا يدانيه فيها أحد ،... وكل ذلك مدعاة لرفعه صلى الله عليه وآله وسلَّم فوق مستوى البشرية ، وادعاء الألوهية له أو أنه ابن الإلٰه .

أما ترى أن اليهود ادعوا أن عزيراً ابن الله ، لأن الله تعالى أحياه بعد موت طويل ، وكان المفروض أن يقدِّسوا من أحياه ـ وهو الله تعالى ـ .

وادعت النصارى أن المسيح ابن الله ، لأن الله تعالى أكرمه بإحياء الموتى ، مع أن المفروض أن يقدِّسوا من أكرمه بذلك ، لأن ذلك كله إنما حصل بقدرة الله تعالى .

وكيف افتتن النساء بيوسف عليه السلام فقطعن أيديهن ، لا لشيء إلا لأنه عليه السلام أُعطي شطر الحسن ـ فكيف بمن مُنح الحسنَ كله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ مع أن المفروض أن يُفتنوا بمن منحه ذلك ـ وهو الله تعالى ـ .

ولكنها الغفلة التي أوقعها الشيطان في نفوس البشر : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾(١) .

ولكن الله جل شأنه حفظ نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فجعل معجزاته محفوفةً بالحفظ والأمان ، فصانه وحماه ، وجعل ما أكرمه الله تعالى به من الجمال محفوفاً بالمهابة والجلال ، وما خصه الله تعالى به دون سائر رسله

(١) سورة التوبة (٣٠).

عليه وعليهم الصلاة والسلام محفوفاً بالرعاية والصيانة ، ثم استجاب دعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك ، لذا لم يعبد من دون الله تعالى ، إضافة إلى ما كان يكرره صلى الله عليه وآله وسلَّم من التحذير والإنذار ، والله تعالى أعلم .

أما ترى أن الله جل شأنه وصف نبيَّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في رحلة الإسراء بالعبدية ، فقال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾(١) ووصفه تعالى في المعراج بالعبدية ، فقال جل شأنه : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾(٢).

هاتان رحلتان عجيبتان ، لا يقوى عليهما البشر ، ومع هذا فإن الله تعالى أخبر عن رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه عبد .

كما طفق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يكرِّر أنه عبدٌ لله تعالى ، فيقول : « إني عبد الله ورسوله » « اللهم إنما أنا عبد » لذا رسخ في أذهان الأمة ـ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمن بعدهم ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عبدٌ لله تعالى ، وهو رسولُه ، وهو أحبُّ الخلق إليه تعالى ، وهو أكرمهم عليه ، وأفضلهم لديه ، وأحظاهم بكل خير ، ولم يعط أحداً من الخلق ما أعطاه .

وهذا هو حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك ، فهم مع كونهم يعلمون ويعتقدون أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم بشرٌ ، وأنه عبدٌ لله تعالى ، إلا أنهم أحبوه غاية الحب ، وهاموا به غاية الهيام ، وعظّموه غاية التعظيم ، وبجّلوه صلى الله عليه وآله وسلَّم غاية التبجيل ، ووقروه منتهى التوقير ، وأجلّوه غاية الإجلال ، لأن الله تعالى أمرهم بذلك ، فكان حالُهم وقالُهم وعملُهم : هو غاية الاتزان والوسطية ، والتحقق الشرعي ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة الإسراء (١).

(٢) سورة النجم (٨ – ١٠).

فكما لم يُفتن به صلى الله عليه وآله وسلَّم الرجالُ والنساءُ فيقتلوا أنفسَهم ، أو يُقطِّعوا أيديهم ؛ كذلك لم يُعرف على مدىٰ التاريخ من عبده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو ادعى أنه إلٰه ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، مع أن بعض ذلك وُجد في بعضِ أفرادٍ ممن هم دونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

ـ الجاذبية في شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد جعل الله عز وجل في رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم جاذبية تجذب قلوب الخلق إليه ؛ فتحبه أكثر من محبتها لأنفسها ، وتتفانىٰ فيه ، وتفديه بما تملك ، ويصعب عليها غيابه عنهم ولو لفترة قصيرة[1]... كل ذلك كالمغناطيس ، يجذب أرواحَ وقلوب ونفوس من جعل الله تعالى معدنه قابلاً للجذب ، كما هو الحال في المغناطيس فقد جعل الله تعالى فيه جاذبية تجذب الحديد ، والله تعالى أعلم .

وخير الحب ما كان من الجانبين ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ أما إذا كان من جهة واحدة فهو غير مفيد .

وَمِـــنَ البَلِـــيَّةِ أَنْ تُحِـــبَّ وَلا يُحِـبُّكَ مَـنْ تُحِـبُّه
وَيَصُـــدُّ عَـــنْكَ بِـــوَجْهِهِ وَتُلِـحُّ أَنْـتَ فَـلا تُغِـبُّه[2].

لذا لما أحبته المخلوقات في المدينة المنورة ، قابلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بنفس الأريحية ؛ فأحبها كما أحبته بل أشد وأكثر ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ لقد أحبَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم كلَّ شيء في المدينة ، فكما أحبه جمادها وحيوانها ونباتها وسكانها ،... فقد قابلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم

---

(١) انظر : الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان ، فقد بينت حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم معه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

(٢) انظر : ديوان الإمام الشافعي (٢٤ - ٢٥).

بأكثر ، فأحب جمادها وحيوانها ونباتها وإنسانها ،... بل أحب صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ كلّ‍َّها ، لذا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يكون حبُّهم لها أكثرَ من حبهم لمكة ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبنا مكة أو أشد ،... ». الحديث ، متفق عليه ، وقد سبق ذكره .

لذا فقد جعلت هذه الرسالة في مبحثين .

الأول : محبة المدينة وقاطنيها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

الثاني : محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وقاطنيها .

تنبيه :

لا يعني أن هذا الحب هو خاص بالمدينة فقط دون غيرها ، ذلك أن الله تعالى جعل في كل ذرات الكون : المعرفةَ والمحبةَ والشوق والحنين والطاعة والامتثال ،... لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما أوضحته في غير ما كتاب[1].

أسأله تعالى أن يكرمنا جميعاً بمحبته تعالى ومحبة رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يجمعنا به ، ويحشرنا في معيته ، ويسقينا بيده الكريمة من حوضه شربةً هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً في عرصات يوم القيامة ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله الطيبين وصحبه الكرام أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

---

(١) انظر شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ ، ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، وغيرهما .



المبحث الأول
محبة المدينة وقاطنيها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما قدم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة المنورة ، أحبَّه كلُّ شيءٍ فيها ،... أحبه جمادُها ،... وأحبه شجرُها ،... وأحبه حيوانُها ،... وأحبه إنسانُها ،... بل أحبته المدينة بكل شيء فيها . لِما جعل الله تعالى فيه من الجاذبية ، ولما أُخذ على المخلوقات من معرفته ومحبته والإيمان به .

وقد عبَّرت عن هذا الحب منها بمظاهر متعددة ، حسب حالة كل مَخلوق من هذه المخلوقات ؛ من شوقٍ إليه ، أو حزنٍ عليه ، أو خوفٍ عليه ، أو تعظيمٍ له ، أو توقيرٍ ، أو استجابةٍ ، أو امتثالٍ ،...إلخ.

ويصعب استيعاب تلك المظاهر في كل جزئية من تلك الجزئيات ، لذا سأقتصر إن شاء الله تعالى على بعض تلك المظاهر من كلِّ نوع من المخلوقات ، للتدليل ، مع الاقتصار على ذكر بعض النصوص أيضاً ، مبيناً محبةَ الجماد ، ثم محبة الحيوان ، ثم محبة النبات ، ثم محبة الإنسان ، ثم محبة المدينة ـ كمدينة ـ له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، سائلاً المولى تعالى الإعانةَ والتوفيقَ ، وأن يحقِّقنا بما أذكر ، ويجمعنا به صلى الله عليه وآله وسلَّم على أحسن حال ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، والله تعالى هو المعين والموفق .





محبّة الجماد له صلّى الله عليه وآله وسلّم ومظاهر محبّته

لقد أحب الجماد ـ بما جعل الله تعالى فيه من الإدراك والمعرفة ـ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعبّر كلُّ جزء منه بما يناسبه ، حسب إمكانيته ؛ من طرب وفرح وحب وسرور وانتعاش واهتزاز وهيبة وخشوع وطاعة وامتثال ،...إلخ، وأذكر نماذجَ من ذلك ، لتكون لنا معشرَ المسلمين عبرةً ، فنقيس أنفسَنا على ما حصل لهذه الجمادات ، حتى لا تسبقنا في محبتها وطاعتها وامتثالها ،... لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

١ ـ اهتزاز جبل أحد لما رقىٰ صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه :

فمن مظاهر حب الجمادات ـ في المدينة المنورة ـ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : اهتزازُ جبل أحد ، عندما صعد عليه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعه شيوخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم ، فركله صلى الله عليه وآله وسلَّم برجله الشريفة ، وأخبره بمن فوقه ، فهدأ .

لقد اهتز هذا الجبلُ ، لما صعد عليه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومعه شيوخ الإسلام : أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، فاهتز بهم طرباً وانتعاشاً ، وفرحاً وسروراً ، بصعودهم عليه ، حتى قال له صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ مخاطباً له خطابَ العاقل ـ : « اثبت أحد » فثبت واستقر .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أحداً ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برِجله ، وقال :

« اثبت أحد ، فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صِدِّيقٌ ، أو شهيدان ». رواه البخاري(١).

كما ورد من حديث سهل بن سعد وعثمان ، رضي الله عنهم . وقد ذكرت رواياتهم في فضائل المدينة المنورة ، وغيره .

فما كان له أن يُؤذيَهم ، وإن عبَّر عن حبه وفرحه وانتعاشه ، بما يُفهم من حاله ، فلما أُخبر بأوصافهم سكن .

لقد كانت هذه الهزةُ هزةَ طرب ، لأنه تشرَّف بأفضل درجات الخلق فوقه ـ كما بيَّنه له صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهم سيد الأنبياء ، وسيد الصديقين ، وسيدا الشهداء ، ولم يبق إلا الصالحون . لذا أخبره صلى الله عليه وآله وسلَّم بمن فوقه ـ مع أن وجودَهم مدعاةٌ للاهتزاز والطرب والسعادة ـ حتى لا يكون سبباً في إيذائهم ، وهم فوقه .

ولما كان من شأن المحب عدم إيذاء محبوب : لذا سكن واستقر في الحال(٢) والله تعالى أعلم .

هذا جبل أصم جمادٌ لم يُطق ولم يصبر ـ لما اقترب منه صلى الله عليه وآله وسلَّم وعلاه ـ أن يستقر ، فاهتز طرباً وانتعاشاً بمن فوقه ، وليس عنده وسيلة تعبير إلاها ، وحق له ذلك ، لكن ما كان عليه أن يستمر ، خشية إيذائهم ، إذ ليس من شأن المحب إيذاء محبوبه ، لذا لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمن فوقه سكن . فهل يستشعر المسلمون بهذه النشوة عند قربهم ؟؟؟ أرجو الله تعالى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب ، وفي غيرهما .

(٢) انظر : فضائل المدينة المنورة ، ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، لبيان الفارق بين هذه الهزة ، وبين رجفة الجبل بقوم موسى عليه السلام ، فهذه هزة الطرب ، وتلك رجفة الغضب والانتقام ، والله تعالى أعلم .

٢ ـ محبة جبل أحد للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الجمادات في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم محبة جبل أُحُدٍ له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

هذا الجبلُ الجمادُ الصلد صار حجةً على المدَّعين ، حيث بيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم أن هذا الجبل يُحبُّه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى خيبرَ أخدمه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم راجعاً ، وبدا له أُحُدٌ قال : « هذا جبلٌ يُحبُّنا ، ونُحبُّه ،... ». متفق عليه[١].

وفي رواية لهما[٢] عنه رضي الله تعالى عنه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أحد فقال : « إن أحداً جبلٌ يحبنا ونحبُّه ».

وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة تبوك ،... الحديث بطوله ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني مسرعٌ ، فمن شاء منكم فليُسرع معي ، ومن شاء فليمكث » فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبُّنا ونحبُّه ،... ». الحديث ، متفق عليه[٣].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الخدمة في الغزو ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... رقم (٤٦٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب أُحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب خرص التمر . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... رقم (١١) ورواه مختصراً : كتاب الحج : باب أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٣).

والحديث في هذا الباب متواتر[1]، حيث رواه كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، خاصة وقد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في أزمنة متعدِّدةٍ، كما هو ظاهر، والله تعالى أعلم.

لقد قدَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذكرَ محبةِ الجبلِ، لأنه غير معهود، ولا معلوم، وهو يمثل في محبته كلَّ جماد في المدينة.

فإذا كانت الجمادات ـ وهي لا تعقل من حيث الظاهر ـ تحبُّه صلى الله عليه وآله وسلَّم، وتشتاق إليه، وتطرب لاقترابه صلى الله عليه وآله وسلَّم منها:

ـ فما منزلته صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الله عز وجل، ومكانته عند مولاه تعالى؟ حيث غرس محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم في الجمادات القاسية الصلدة.

ـ ثم ما سبب تخصيص هذا الجبل بهذه المزية، مع أن ظاهره لا يدل على باطنه، فهو جبل صلدٌ أجرد، لا نبات ولا عشب ولا ماء ولا شجر، ولكنه لم يصبر حتى عبَّر عن حبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، فاهتز طرباً لما صعد عليه ومعه شيوخ الإسلام، لذا أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه أنه يحبه، فقابله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمحبة نفسها ـ ليكون الجزاء من جنس العمل ـ ثم زاد على ذلك: أنه على ترعة من ترع الجنة، فكانت نتيجة محبته: المصاحبة والملازمة في دار الخلد، والله تعالى أعلم.

ـ ثم ما موقف المسلم المؤمن العاقل المكلف المأمور؟ أيدع الجمادَ يسبقه، ويفوز بهذه المرتبة والمكانة؟ أم يسبق هو الجمادَ في محبته وشوقه ـ وهو مطلوبٌ منه شرعاً كما مر ـ ثم هو المكلف العاقلُ المأمور. أسأله تعالى ألا يكون كلامي حجة علينا[2].

---

(١) انظر: نظم المتناثر (١٢٨) والأزهار المتناثرة (١٣٦).

(٢) انظر الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان. ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد.

٣ـ اهتزاز المنبر الشريف تحته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الجمادات في المدينة المنورة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : اهتزاز المنبر الشريف تحت النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو يقرأ فوقه آيةً من القرآن الكريم ، فأخذته الهيبةُ والجلالُ والخشيةُ ، تأثّراً بما سمع من النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلما سكت صلى الله عليه وآله وسلَّم سكن .

فعن عبيد الله بن مُقسم رحمه الله تعالى ، أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يأخذ الله عز وجل سمٰواته وأرضيه بيديه ، فيقول : أنا الله (ويقبض أصابعَه ويبسطها) أنا الملِك » حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني لأقول : أساقط هو برسول الله ؟ رواه مسلم . ورواه البخاري مختصراً[1] وله روايات أخرى ذكرتها في غير هذه الرسالة .

لقد اهتز المنبر الشريف ، ورجف رهبةً وهيبةً وخشية ،... عندما سمع قراءةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو فوقه ـ فلما سكت صلى الله عليه وآله وسلَّم سكن ، وزال عنه ما اعتراه ، وهكذا شأن المحب ؛ حين سماعه قراءة محبوبه ـ تأثراً وتفاعلاً ـ كيف وما قرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقطع نياط القلب ، في تهديده ووعيده ، وقلوبُ المحبين غاية في الرقة والخوف ؛ من جلال المحبوب ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : صفة القيامة والجنة والنار ، رقم (٢٥) وصحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ .

٤ ـ تسبيح الحصباء بيده صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الجمادات في المدينة المنورة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : تسبيحُ الحصباء بين يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبصوت عال ومسموع ، حتى سمع الحاضرون تسبيحَها .

فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : إني لشاهدٌ عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في حلقة ، وفي يده حصيات ، فسبَّحن في يده ـ وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ يسمع تسبيحَهن مَن في الحلقة ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أبي بكر ، فسبَّحن مع أبي بكر ، يسمع تسبيحَهن مَن في الحلقة ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى عمر ، فسبَّحن في يده ، يسمع تسبيحَهن مَن في الحلقة ، ثم دفعهن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى عثمان ، فسبَّحن في يده ، ثم دفعهن إلينا ، فلم يسبِّحن مع أحد منّا . رواه أبو نعيم في الدلائل ـ بإسنادين أحدهما برجال ثقات ـ ورواه البزار ـ بإسنادين أحدهما برجال ثقات ـ ورواه ابن أبي عاصم بإسناد جيد ، ورواه البيهقي والطبراني من طريق آخر ، وقال الهيثمي عن إسناد البزار الأول : إسناده صحيح . وقال في موطن آخر : رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف . ورواه التيمي مختصراً ومطولاً[1] .

قلت : وإسناد أبي نعيم الأول وإسناد البزار الثاني كافيان لصحة الحديث ، والله تعالى أعلم .

فتسبيح الحصيات في يده صلى الله عليه وآله وسلَّم هو نظير تسبيح الطعام ،

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٥٥ – ٥٥٦) وللبيهقي (٦ : ٦٤ – ٦٥) وللتيمي (٤٧ ، ٢١٥) والسنة لابن أبي عاصم (٢ : ٥٤٣) وكشف الأستار (٣ : ١٣٥ – ١٣٦) والمعجم الأوسط (٢ : ٥٩) (٤ : ٢٤٥) ومسند الشاميين (٣ : ٧٩ – ٨١) (٤ : ٢٤٦ – ٢٤٧) ومجمع البحرين (٦ : ١٥٢ ، ١٥٣) ومجمع الزوائد (٥ : ١٧٩) (٨ : ٢٩٨ – ٢٩٩) وانظر الشمائل لابن كثير (٢٥٦ – ٢٥٨).

لكن يزيد هنا تسبيحها بأيدي الصديق والفاروق وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، لكن ذلك كان بدفعه هو صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

وهذا مظهر من مظاهر حبها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن المحب مطيعٌ ، وطاعتها إبراز تسبيحها الذي أخبرنا الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1].

وتسبيح هذه الحصيات فيما يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ كان بلغة عربية فصيحة ، سمعه الحاضرون ، وفهموه وفقهوه ،...

وفي هذا منقبة خاصة ، لأنه لو كان في اللغة التي تختص بها ما عرفها الحاضرون .

وكل ذلك استجابة له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بدلالة حملها بيده الشريفة ، ثم وضعها في أيدي شيوخ الإسلام الثلاثة رضي الله تعالى عنهم ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الجماد في المدينة المنورة للنبي المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله وسلَّم : تسبيحُ الطعام ؛ وهو يُؤكل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بصوت مسموع ، ويَسمع الحاضرون تسبيحَه ، إظهاراً للسرور والفرح والبِشر ،... وهو لون من ألوان التعبير عن المحبة ، وإن كان خارقاً للعادة أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركةً ، وأنتم تعدونها تخويفاً .

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في سفر ، فقلَّ الماءُ ، فقال : « اطلبوا فضلةً من ماء » فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليلٌ ، فأدخل يدَه في الإناء ، ثم قال : « حيَّ على الطهور المبارك ، والبركةُ من الله » فلقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) سورة الإسراء (٤٤).

ولقد كنا نسمع تسبيحَ الطعام وهو يؤكل . رواه البخاري[١] .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم الطعام ، وكنا نسمع تسبيح الطعام . رواه الترمذي والإسماعيلي والبيهقي[٢] .

فهذا لون من ألوان التعبير والاستجابة له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث عبَّر عن حبه وسروره بالتسبيح ، عما عبَّر غيره بما يناسبه ، والله تعالى أعلم .

٦ ـ استجابة الغيم لإشارته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الجمادات في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : استجابة الغيم لأوامره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حين أمرها ـ بيده الشريفة ـ بالتفرق عن سماء المدينة ، بعد مطر دام أسبوعاً كاملاً بدعائه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وهذا غاية الطاعة والامتثال ، حيث أشار صلى الله عليه وآله وسلَّم بيده ، ولم ينطق بلسانه ، والإشارة تغني عن العبارة في كثير من الأحيان ، عند أهل الفهم . كما أن الطاعة والامتثال والاستجابة عنوان المحبة .

تَعْصي الإلٰهَ وأنتَ تُظهرُ حبَّه ... هذا لَعَمْري في القياسِ بَدِيعُ

لَو كان حبُّك صادقاً لأطعته ... إن المحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

لما شكا بعضُ الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم جدبَ الأرض ، وهلاكَ المال ، رفع صلى الله عليه وآله وسلَّم يديه ـ وهو على المنبر يوم الجمعة ـ وليس في السماء سحابٌ ولا قزعة ، فثار الهواء ، وتجمَّع السحاب ، فلم ينزل صلى الله عليه وآله وسلَّم عن المنبر حتى نزل المطر ، وتحادر على لحيته الشريفة ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام .

(٢) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب (٦) رقم (٣٦٣٣) ودلائل النبوة (٦ : ٦٢) وفتح الباري (٦ : ٥٥٩) وانظر صحيح ابن حبان (١٤ : ٤١٧).

واستمر نزول المطر أسبوعاً .

فشكوا إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم في الجمعة الثانية الغرقَ ، وتهدمَ البيوت ، فرفع صلى الله عليه وآله وسلَّم يديه ، وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا ،... » فما أشار صلى الله عليه وآله وسلَّم بيده الشريفة إلى جهةٍ من الغيم إلا انجاب عن السماء ، وانطوى بعضه على بعضٍ ، كالملاءة التي تُطوى ، وخرج الناس يمشون في الشمس .

فاستجابةُ الغيم بالتفرق طاعةٌ وأي طاعة لإشارته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو تعبير عن محبته ، والله تعالى أعلم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب على المنبر يومَ الجمعة ، قام أعرابيٌّ فقال : يا رسول الله ؛ هلك المالُ ، وجاع العيالُ ، فادع الله لنا أن يسقينا . قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يديه ، وما في السماء قزعةٌ ، قال : فثار سحابٌ أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطرَ يتحادر على لحيته ، قال : فمُطِرنا يومنا ذلك ، وفي الغد ، ومن بعد الغد ، والذي يليه ، إلى الجمعة الأخرى .

فقام ذلك الأعرابيُّ ـ أو رجلٌ غيرُه ـ فقال : يا رسول الله ؛ تهدّم البناءُ ، وغرق المالُ ، فادع الله لنا ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يديه ، وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا ».

قال : فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت ، حتى صارت المدينةُ مثلَ الجَوْبَةِ ، حتى سال الوادي ـ وادي قناة ـ شهراً ، قال : فلم يجىء أحدٌ من ناحية إلا حدَّث بالجود . متفق عليه[1].

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته ، وفي غيرهما . =

زاد في رواية مسلم : فرأيتُ السحاب يتمزَّق ، كأنه الملاء حين تُطوى .

وله روايات أخرى متعددة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1] : وفيه (أي الحديث) عَلَمٌ من أعلام النبوة :

ـ في إجابة الله تعالى دعاءَ نبيه عليه وآله الصلاة السلام ، عقبه أو معه ، ابتداءً في الاستسقاء ، وانتهاءً في الاستصحاء .

ـ وامتثال السحاب أمره بمجرد الإشارة .اهـ.

فإذا كان ما سبق كله من عالم الأرض ، فهذا من عالم السماء ، ومع هذا فقد استجاب لإشارته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والاستجابة فرع عن المحبة ، والله تعالى أعلم .

وهناك نصوص كثيرة ، ذكرتها في غير هذا الكتاب .

فإذا كان الجماد ـ سواء من عالَم الأرض أو السماء ـ يطيع ويحب ويستجيب ،... للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فما موقف الإنسان المسلم العاقل المدرك المكلَّف المأمور ؟ أيسبقُ الجمادَ ـ فيكون خيراً منه ـ أم يدع الجمادَ يسبقه ـ فيكون الجمادُ خيراً منه ـ أسأله تعالى مزيد فضله ورضاه .

☆☆☆☆☆

= وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء ، رقم (٨ – ١٢).

(١) فتح الباري : (٢ : ٥٠٧).

محبّة الحيوان له صلّى الله عليه وآله وسلّم ومظاهر محبّته

لقد عبَّر الحيوان ـ في هذه المدينة المنورة ـ عن حبه وتقديره للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بصور مختلفة ، ومظاهر متعددة ، ذكرت كثيراً منها في غير هذا الكتاب ، ومن تلك المظاهر :

١ ـ سجودُ الجمل له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

فمن مظاهر محبة الحيوانات في المدينة المنورة : سجودُ الجمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع أنه كان قد استفحل ، ومنع ظهرَه ، فلم يُمكِّن صاحبَ البستان من السني عليه ، كما منع الناسَ من دخول البستان .

وهذا السجود هو سجود تحيةٍ وتعظيم وتبجيل ، لا سجود عبادة ، لأن سجود العبادة لا يجوز ـ لا في شرعنا ولا في شرع من سبقنا ـ إلا لله تعالى ، أما سجود التحية والتعظيم والتوقير فقد كان جائزاً في شرع من سبقنا ، أَمَا ترى سجودَ الملائكة لآدم عليه السلام ، وسجودَ يعقوب وأولاده ليوسف عليهم السلام ،... واستمر ذلك إلى زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى منعه ، وأخبر أن لو كان جائزاً ما كان إلا للمرأة تسجد لزوجها ، والله تعالى أعلم .

وقد تواترت قصة سجود الجمل(١) حيث رواه كثيرٌ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم . لكنني أقتصر على ذكر حديث واحد .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان أهلُ بيت من الأنصار لهم

(١) انظر : الأزهار المتناثرة (٣٦) ونظم المتناثر (١٣٧ – ١٣٨) وقطف الأزهار (٢٦٦) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤١ - ١٤٢).

جمل يَسْنون عليه ، وأنه استصعب عليهم ، فمنعهم ظهرَه ، وأن الأنصارَ جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا : يا رسول الله ؛ إنه كان لنا جمل نَسْني عليه ، وإنه اسْتَصْعَبَ علينا ، ومنعَنَا ظهرَه ، وقد عطش الزرعُ والنخلُ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه : « قوموا » فقاموا ، فدخل الحائطَ ، والجملُ في ناحيته ، فمشى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم نَحوَه .

فقالت الأنصارُ : يا رسول الله ؛ قد صار مثلَ الكَلْب الكَلِب ، وإنّا نخاف عليك صولتَه ، فقال : « ليس عليَّ منه بأس ».

فلما نظر الجملُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أقبل نَحوَه ، حتى خر ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بناصيتِه ، أذلَّ ما كانت قطُّ ، حتى أدخله في العمل .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ؛ هذه بهيمةٌ لا تعقل تسجدُ لك ونحن نعقل ، فنحن أحقُّ أن نسجد لك ، فقال : « لا يصلح لبشر أن يسجدَ لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجدَ لبشر لأمرتُ المرأَةَ أن تسجدَ لزوجها ، لعظم حقِّه عليها... ». رواه أحمد والبزار برجال الصحيح ، غير حفص ابن أخي أنس ، وهو ثقة ، وروىٰ النسائيُّ آخرَه ، وقال المنذري : إسنادٌ جيدٌ ، رواته ثقات مشهورون . وقال ابن كثير : إسنادٌ جيدٌ . وصححه السيوطي في تخريج أحاديث الشفا[1]، والله تعالى أعلم .

هذا حيوان بهيم ، يعظِّم النبيَّ المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم ،

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٥٨ – ١٥٩) وكشف الأستار (٣ : ١٥١ – ١٥٢) وعشرة النساء (٢٢٥) والسنن الكبرى (٥ : ٣٦٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ – ٤٩٢) والمختارة (٥ : ٢٦٥ – ٢٦٦) ومجمع الزوائد (٩ : ٤) والترغيب والترهيب (٤ : ١٢٣) والشمائل لابن كثير (٢٦٢ – ٢٦٣) والنظم المتناثر (١٣٨) وانظر : محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٥٠ – ٥٢).

فيسجد له - تكريماً وتعظيماً وتوقيراً - فكيف بالمسلم المؤمن العاقل المدرك المكلَّف المأمور ؟ وقد أمره الله جل شأنه بتوقير رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وتعظيمه ﴿ وَتُعَـزِّرُوهُ وَتُوَقِّـرُوهُ ﴾[1] وهما أعلى حالاً من المحبة ، كما بيَّنتُه في غير هذا الكتاب ، فهل يسبق الحيوانُ البهيمُ كثيراً من المسلمين في هذا التعظيم والتكريم ؟ أرجو ألا يكون ذلك .

٢ـ تأدب الوحش معه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

إن من شأن المحب عدمَ إزعاج محبوبه ، كما أن من شأنه توقيره واحترامه ، والعمل على راحته ، وإدخال السرور على قلبه ، وهذا شأن كل عاقل مدرك .

لذا فإن من مظاهر مَحبة الحيوان في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ تأدبَ الوحشِ - الذي كان في بيت السيدة عائشة رضي الله عنها - مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعدم إزعاجه وإيذائه له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بلعبه واشتداده .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وَحشٌ ، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لعب واشتد ، وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد دخل : ربض فلم يترمرم ، ما دام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في البيت ، كراهية أن يؤذيَه . رواه أحمد - من طريقين - وأبو يعلى والبزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والدارقطني برجال الصحيح . وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عن سند أحمد : هذا الإسناد على شرط الصحيح ، ولم يخرجوه ، وهو حديث مشهور[2].اهـ.

(١) سورة الفتح (٩).

(٢) مسند أحمد (٦ : ١١٢ – ١١٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٩) ومسند أبي يعلى (٧ : ٤١٨) (٨ : ١٢١) وكشف الأستار =

هذا حيوان بهيم ـ غير عاقل ولا مدرك من حيث الظاهر ـ يحترمُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ويُقدِّرُه ، ويبجّلُه ، ويجلُّه ويعظِّمه ، ولا يزعجه بحركته ، ولا يؤذيه بلعبه واشتداده ، فإذا أحس بدخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أو قدومه ؛ ربض ولم يتحرك ، وهو حيوان بهيم لا يعقل في الظاهر ، فماذا يُقال للذين يؤذون بصراخهم عند الحجرة الشريفة ، وعند افتتاح أبواب الحرم في وقت السَّحَر ، وفي الروضة الشريفة ، وفي المناسبات ؟ أسأل الله تعالى تمام الأدب معه تعالى ومع رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٣ـ غيرة الشاة أن يدخل جوفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مالٌ مشبوه :

ومن مظاهر محبةِ الحيوان في المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : غيرتُه أن يدخلَ جوفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مالٌ مشبوه ، أو طعامٌ مشبوه ،... لأن في ذلك إيذاءً له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وهذا شأن المحب ، أن يغار على محبوبه التقي النقي الورع الزاهد أن يدخل جوفَه مالٌ مشبوهٌ ، أو طعامٌ مشبوهٌ ، لأنه لا يريد أن يصاب محبوبه بأذى ، لأن اللحمَ الذي ينبت من سُحت النارُ أولىٰ به ، لذا فإنه يخاف عليه أكثر من خوفه على نفسه .

فعن رجل من الأنصار رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في جنازة ، فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو على القبر ـ يوصي الحافر : « أَوْسِع من قِبَل رِجْليه ، أَوْسع من قِبَل رأسِه » فلما رجع ، استقبله داعي امرأة ، فجاء ، وجيء بالطعام ، فوضَع يدَه ، ثم وضع القومُ ، فأكلوا ،

= (٣ : ١٥٠) وجزء الحسن بن عرفة (٨٤ رقم ٧٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١) وللبيهقي (٦ : ٣١) والشمائل لابن كثير (٢٨٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣ – ٤).

فنظر آباؤنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يلوك لقمةً في فمه ، ثم قال : « أجد لحمَ شاةٍ أُخذت بغير إذن أهلها » فأرسلت المرأةُ قالت : يا رسول الله ؛ إني أَرسلتُ إلى البقيع ؛ ليُشترَىٰ لي شاةٌ ، فلم أجد ، فأرسلتُ إلى جارٍ لي قد اشترى شاةً ، أَن أَرسِلْ إليَّ بها بثمنها ، فلم يوجد ، فأَرسلتُ إلى امرأته ، فأرسلتْ إليَّ بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أطعميه الأسارىٰ ». رواه أحمد وأبو داود والدارقطني والبيهقي ، بأسانيد صحيحة[1].

وقد ورد بنحوه عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

هذه شاة بهيمة ، مذبوحة ميتة لا روح فيها ولا حياة ، تغار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يدخل جوفه الكريم ، لأنها ذُبحت بغير إذن أهلها ، مع أنها كانت في غاية السعادة أن تكون في جوفه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكيف لا تسعد وهي في جوف سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ ولكنها لما ذُبحت بغير إذن أهلها صارت مالاً مشبوهاً ، ولا يحسن أن تَدخل جوفَه الشريف ـ وهي مال مشبوه ـ لذا أخبرته صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك .

ألا ترى كيف كانت البدنات يزدلفن إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم بأيتهن يبدأ الذبح ، ولا بأس بذكر الحديث في ذلك .

فعن عبد الله بن قُرط رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى : يومُ النحر ، ثم يومُ القَرِّ ».

وقُرِّب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خمس بدنات ـ أو ست ـ

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٩٣ – ٢٩٤) وسنن أبي داود : كتاب البيوع : باب في اجتناب الشبهات ، رقم (٣٣٣٢) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٥ – ٢٨٦) ودلائل النبوة (٦ : ٣١٠).

يَنحرُهن ، فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ بها ، فلما وجبت جنوبها ، قال كلمة خفية لم أفهمها ، فسألت بعضَ من يليني : ما قال ؟ قالوا : قال : « من شاء اقتطع ». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطحاوي بإسناد صحيح ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1] لكن جاء عند النسائي وابن حبان مختصراً .

فمن كانت تزدلف إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم لتنال شرف الابتداء في النحر قبل غيرها ، ألا تكون حريصةً على دخوله في جوفه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ إنه أولىٰ من ذلك بكثير ، ولكنها لما ذُبحت بغير إذن أهلها صارت مشبوهةً ، فمِن حرصها عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أخبرته أنها ذبحت بغير إذن أهلها ، حتى لا تؤذيه بوجودها في جوفه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنها مال مشبوه ، والله تعالى أعلم .

وهذا كله حفظ من الله تعالى لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يأكل مالاً حراماً أو مشبوهاً ، فهل يحرص المسلمون على ألا يأكلوا محرماً أو مشبوهاً ، ويحرصوا على بعضهم بذلك ؟ أرجو الله تعالى .

٤ـ إخبار الشاة المسمومة له صلى الله عليه وآله وسلَّم بأنها مسمومة :

إن من شأن المحب الصادق في حبِّه : أن يخاف على محبوبه من كلِّ شيء يسيئه ، فضلاً أن يؤذيه ، أمّا إذا وصل الأمر إلى حدِّ الهلاك فلا يمكن للمحب الصادق

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٥٠) وسنن أبي داود : كتاب المناسك : باب الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ ، رقم (١٧٦٥) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب المناسك (٢ : ٤٤٤) وشرح معاني الآثار (٣ : ٥٠) وشرح مشكل الآثار (٣ : ٣٥٩ – ٣٦٠) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢٩٤) وصحيح ابن حبان (٧ : ٥١) والمستدرك (٤ : ٢٢١) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٣٧ ، ٢٤١) ومعجم الصحابة لابن قانع (٢ : ١٠٣ – ١٠٤ ، ١٠٤).

ويوم القر : هو اليوم الذي يستقر فيه الحجيج بمنى ، وهو أول أيام التشريق .

أن يصبرَ ، ويسكتَ على ذلك ، لذا فإنه يسارع إلى نجاة محبوبه ، وإنقاذه بكل وسيلة يستطيع القيام بها .

وهذا ما حصل فعلاً في الشاة المسمومة . وهي ثابتة في الصحيحين وغيرهما ، عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وخلاصتها : أن امرأة يهودية ذبحت شاةً ، وسَمَّتها ، ولما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يحب الذراعَ زادت فيه السمَّ ، فلما وُضع الطعامُ ، ورفع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الذراعَ إلى فيه ؛ أخبره الذراعُ أنه مسمومٌ ، لذا أمر من معه من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أن يرفعوا أيديهم ، ويمتنعوا عن الأكل ، وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتْني أنها مسمومة ». ودُعيت اليهودية ، فاعترفت ، وقالت : إن كنتَ نبيّاً فلا يضرك ، وإن الله تعالى سيطلعك عليه ، وإن كنتَ مَلِكاً استرحنا منك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما كان الله ليسلطك عليَّ »[1].

وهكذا شأن المحب يغارُ على محبوبه ، كما يخاف عليه من الأذى ، فكيف بما هو أعظم ؟ فهل يغار المسلمون على نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فلا يؤذوه ، ويعملوا على إسعاده في الحشر أيضاً ؟ أرجو الله تعالى ذلك .

٥ـ إسراع فرس أبي طلحة رضي الله عنه بعد ركوبه صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه .

ومن مظاهر محبة الحيوانات في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : انقلابُ فرس أبي طلحة رضي الله تعالى عنه من فرس قطوف بطيء إلى بحر لا يُجارى ، ولا يُسبق ، بمجرد ركوب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه

(١) انظر : محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٤٢ – ٤٤) لبيان طرق الحديث .

وآله وسلَّم عليه ـ وهو غير مسرج ـ فقد حلت عليه بركة الحبيب المحبوب صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أحسنَ الناس ، وكان أجودَ الناس ، وكان أشجعَ الناس ، ولقد فزع أهلُ المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناسٌ قبلَ الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرسٍ لأبي طلحة عُريٍ ، في عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا » قال : « وجدناه بحراً أو إنه لبحر » قال : وكان فرساً يُبَطَّأُ . متفق عليه[1].

وفي رواية للبخاري[2] عنه رضي الله عنه قال : إن أهلَ المدينة فزعوا مرةً ، فركب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم فرساً لأبي طلحة كان يقطف ـ أو كان فيه قطاف ـ فلما رجع قال : « وجدنا فرسَكم هذا بحراً » فكان لا يُجارى .

وفي رواية أخرى له[3] عنه رضي الله عنه قال : فزع الناس ، فركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فرساً لأبي طلحة ؛ بطيئاً ، ثم خرج يركض وحده ، فركب الناسُ يركضون خلفه ، فقال : « لم تراعوا ، إنه لبحر » فما سُبق بعد ذلك اليوم .

هذا فرس كان بطيئاً في سيره وحركته ، فلما ركبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بورك فيه ، وصار لا يجارى ، ولا يُسبق ، والله تعالى أعلم .

وهناك عدة قصص في هذا الباب ، كفرس جُعيل الأشجعي ، وجمل جابر ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب في شجاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وتقدمه للحرب ، رقم (٤٨ ، ٤٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الفرس القطوف .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب السرعة والركض في الفزع .

وفرس الخاطب ،... وصلوات الله تعالى على حبيبه الكامل المكمَّل ، وعلى آله وصحابته ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

٦ ـ شهادة الذئب له صلى الله عليه وآله وسلَّم بالرسالة :

ومن مظاهر محبة الحيوان في المدينة المنورة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : شهادة الذئب له بالرسالة ، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يكن حاضراً ، وكان جواب الذئب للراعي حين أخذ منه الشاة التي اصطادها .

ومثلُ هذا يدل على معرفة الذئب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومحبته له ، والدعوة إلى دينه ،... وإلا فما الذي حمله على النطق بهذه الشهادة ، والإخبار بها ، ورسول الله بعيد عنه ؟

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينا راعٍ يرعى بالحَرَّة ، إذ عرض ذئبٌ لشاة من شائه ، فجاء الراعي يسعى ، فانتزعها منه ، فقال للراعي : ألا تتقي الله ، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ ؟ قال الراعي : العجب للذئب ـ والذئب مُقع على ذَنَبِه ـ يكلمني بكلام الإنس ؟ قال الذئبُ للراعي : ألا أحدثك بأعجب من هذا ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الحَرَّتَين يُحدِّث الناسَ بأنباء ما قد سبق .

فساق الراعي شاءَه إلى المدينة ، فزواها في زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال له ما قال الذئب [فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنودي الصلاة جامعة] فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقال للراعي : « قم فأخبر » فأخبر الناسَ بما قال الذئبُ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « صدق الراعي ، ألا مِن أشراط الساعة ؛ كلامُ السباع الإنس ، والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى تُكلِّمَ

السباعُ الإنسَ ، ويُكلِّمَ الرجلَ نعلُه ، وعذبةُ سوطه [وشراكُ نعله] ويُخبره فخذُه بما أحدث أهله بعده ». رواه أحمد وعبد بن حُميد برجال الصحيح ، والبزار ، وابن حبان والحاكم والبيهقي وصححوه وأقره الذهبي وابن كثير[1].

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

هذا حيوان بهيم مفترس يشهد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالرسالة ، وكان سبباً في إسلام هذا الراعي رضي الله تعالى عنه ، ومثل هذه الشهادة تدل على معرفة هذا الحيوان بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم - وقد سبق بيان ذلك ، وأن جميع المخلوقات تعرفه صلى الله عليه وآله وسلَّم - كما تدل على محبتها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإلا لما أخبر هذا الراعي بأغرب مما سمعه منه ، كما تدل على دعوته لهذا الراعي ، لذا أسلم ، كما استدل بإخبار النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالمغيبات السابقة واللاحقة مما كان له أوقع الأثر في نفس الراعي ، والله تعالى أعلم .

وقد كانت هذه الحادثة في الحرة الغربية عند ذي الحليفة ، كما هو مبين في الرواية الأخرى ، والله تعالى أعلم .

والنصوص والقصص في هذا الباب كثيرة جدّاً ، وما ذكرته كاف للدلالة ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

(١) مسند أحمد (٣ : ٨٣ - ٨٤ ، ٨٨ - ٨٩) وكشف الأستار (٣ : ١٤٣) ومسند عبد بن حُميد (٢٧٧ رقم ٨٧٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٤١٨ - ٤١٩) والمستدرك (٤ : ٤٦٧ - ٤٦٨) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٨٢ - ٤٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٤١ - ٤٣ من طرق) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٩١) وشمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم لابن كثير (٢٧٦ - ٢٧٨) من طرق ، وانظر الخصائص الكبرى للسيوطي .

إن مظاهر محبة النبات والأشجار في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كثيرة ، منها الحب والشوق والحنين والحزن ،... وقد مثَّل الجذعُ ذلك كله ، وصار حجةً على المحبين الصادقين ، فضلاً عن أدعياء المحبة .

أَتَيْتُ لِقاضي الحبِّ قُلتُ أَحِبَّتي جَفَوني وقالوا أَنتَ في الحبِّ مُدَّعي
وَعندي شُهودٌ بِالصَّبابَةِ وَالأَسىٰ يُزَكُّون دَعْوائي إذا جئتُ أَدَّعِي

أسأله تعالى أن يرزقنا الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، وألا يجعل ما أكتبه حجة عليَّ ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

ـ حنين الجذع :

ومن مظاهر محبة النباتات والأشجار في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : حنينُ الجذع ؛ عندما فارقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورقىٰ المنبرَ بعد ما صُنع له ، في أول جمعة يخطب على المنبر .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يخطب في مسجده الشريف ـ قبل صنع المنبر الشريف ـ قائماً ، بجوار السارية التي هي الآن على يمين المحراب الشريف[1] والمعروفة بـ (الأسطوانة الحنّانة) وهي المُخَلَّقَة ، وبجوارها جذعٌ منصوبٌ ملاصق لها ، فإذا طال وقوفُه ، أو تعب صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يضع يدَه على ذلك الجذع المنصوب بجوار تلك السارية .

(١) لأنه ليس في زمن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم محراب ، بل كان يصلي إلى السارية التي هي أمام المحراب الشريف اليوم .

فلما صُنع له المنبر ـ بعد غزوة خيبر ـ ووُضِع في مكانه ، وخرج صلى الله عليه وآله وسلَّم من بيته ، وجاوز الجذعَ الذي كان يخطب بجواره ، ولم يقف عنده ، وصعد المنبر ، حنَّ ذلك الجذعُ شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحزناً على فراقه ، حتى تشقق ، فتأثر الصحابة الحاضرون رضي الله تعالى عنهم ، وبكوا بكاء شديداً ، لحنين هذا الجذع .

ولم يهدأ الجذع الحنّان ، حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن المنبر ، وأتاه ، فوضع يدَه الشريفةَ عليه ، ثم مسحه ، ثم ضمَّه والتزمه ، ثم خيَّره صلى الله عليه وآله وسلَّم بين أن يزرعه في حائطه [بستانه] الذي كان فيه ، فيُثمر من جديد ، وبين أن يزرعَه في الجنةِ ، تشرب عروقُه من مياهها ، ويأكل ثمرتَه المؤمنون فيها ؟

فاختار الجذع الحنَّان المشوق أن يكون شجرةً في الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أفعلُ إن شاء الله ، أفعلُ إن شاء الله ، أفعلُ إن شاء الله ». وأخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه بقوله : « والذي نفسي بيده ، لو لم ألتزمْه لبقي يَحنُّ إلى قيام الساعة ، شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ».

وقد كثرت الأحاديث في ذلك ، ورواها العشرات من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، لأن الحادثة وقعت في المسجد يوم الجمعة ، لذا فالحديث متواتر[1] لكني سأقتصر على رواية واحدة ، ومن أراد معرفة سائر الروايات ، فلينظر في (فضائل المدينة المنورة) ومختصره .

---

(١) وانظر إضافة إلى (فضائل المدينة المنورة) و (شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ) وَ (الإدراك عند الجمادات) : الأزهار المتناثرة (٣٦) وقطف الأزهار (٢٦٨ - ٢٧٠) ونظم المتناثر (١٣٤ - ١٣٥) ولقط اللآلئ المتناثرة (٢٨ - ٣٠) والشفا للقاضي عياض (١ : ٤٢٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٥٦٣) وفتح الباري (٦ : ٥٩٢) والخصائص الكبرى (٢ : ٧٥ - ٧٦) وحجة الله على العالمين (٢ : ١٢ - ١٤).

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة ـ أو نخلة ـ فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ : يا رسول الله ؛ ألا نجعل لك منبراً ، قال : « إن شئتم » فجعلوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة [قعد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر الذي صُنع] فصاحت النخلة [التي كان يخطب عندها ، حتى كادت تنشق ، فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى أخذها ، فضمها إليه ، فجعلت تئن] أنين الصبيِّ الذي يسكن ،... الحديث ، رواه البخاري(١).

وفي رواية : وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة ».

لقد أقام الله تعالى ـ بحنين هذا الجذع ، وشوقه ، وحزنه ـ الحجةَ على جميع المسلمين ، فيما لو قصَّروا أو تهاونوا ،... في حبهم وشوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحزنهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم حال مفارقتهم له .

كما صار هذا الجذعُ حجةً على كل المسلمين عموماً ، وعلى كلِّ من يدّعي محبةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خصوصاً ، لأنهم أولىٰ بذلك الشوق والحنين من هذا الجذع الجماد الميت ، والله تعالى أعلم .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : يا معشر المسلمين ؛ الخشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شوقاً إلى لقائه ، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه(٢).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب النجار ، وكتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام . وانظر روايات الحديث في فضائل المدينة المنورة ، ومختصره .

(٢) مسند ابن المبارك (٢٩) وسنن الدارمي (١ : ٢٥) وفضائل المدينة للجندي (٣٧) ومسند علي بن الجعد (٤٦٦) ومسند أبي يعلى (٥ : ١٤٣) و صحيح ابن حبان (١٤ : ٤٣٧) والشمائل لابن كثير (٢٤٠) وفتح الباري (٦ : ٦٠٢).

وحنين الجذع أكبر من إحياء الموتى ـ كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1] ـ لأن إحياءَ الموتى : إعادتُه إلى ما كان عليه ، أما حنين الجذع فهو أكبر ، لأن الجذع أصله نبات ، فلو أعيد ، كان نباتاً ، والنبات لا يتكلم ـ من حيث الظاهر ـ ولا يحن ولا يحزن ، بينما هنا صدر منه الإدراك والحب والشوق والحزن والإحساس ،... كحال أشرف المخلوقين العاقلين المدركين ـ الناس ـ فكان أبلغ وأعظم ، لأنه تجاوز إحياؤه النبات ، إلى أشرف المخلوقين من البشر العاقلين ، والله تعالى أعلم .

وهناك نصوص كثيرة ، وقصص أخرى عن الشجر ، وانهصارها له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومجيئها للسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وانقيادها معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لكن حسبي ما ذكرت للتدليل ، والله تعالى الموفق والمعين .



(١) انظر : آداب الشافعي ومناقبه (٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٦٨) والشمائل لابن كثير (٢٥١) وفتح الباري (٦ : ٦٠٣).

إن مظاهر محبةِ ساكنِ هذه المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : كثيرةٌ جداً ، منها الحبُّ ، والفداءُ ، والدفاعُ ، والخشيةُ عليه ، والشوقُ إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والحزن على فراقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

لكنها جاءت على ضربين ، منها ما هو على الإفراد ، ومنها ما هو على المجموع ، لذا فإني أذكر نماذج من كلا القسمين ، لتكون نبراساً لنا معشر المسلمين المتأخرين ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

ـ القسم الأول : على الإفراد :

إن الأحاديث التي جاءت في هذا القسم كثيرة جدّاً ، لكني سأشير إلى بعض النصوص للتذكير ، منها :

١ـ فداء الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

فمن مظاهر محبة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : فداؤهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم بأرواحهم ، وتمني أحدهم أن يصاب دونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحمايته صلى الله عليه وآله وسلَّم من أعدائه أن يصلوا إليه ، وأنه لا عذر لهم لو أصيب صلى الله عليه وآله وسلَّم ولهم عين تطرف ، بل الاستهانة بكل مصيبة دونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد بلغ الأمر فيهم الغاية ، وخير مثال ما حصل يوم غزوة أحد ، وهذه نماذج على ذلك ، حسب ما ذكرها أهل السير :

فمن في ذلك : تترّسُ أبي طلحة رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم أُحُد ، وهو مُجَوِّبٌ عليه بحجفة له ، ليحميه من سهام القوم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم أحد ، انهزم الناسُ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأبو طلحة مُجَوِّبٌ عليه بحجفة .

قال : وكان أبو طلحة رجلاً شديدَ النزع ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً . قال : فكان الرجلُ يمر معه الجعبة من النبل ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلَّم : « انثرها لأبي طلحة ».

قال : ويشرف نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، لا تُشرف ، لا يُصبْك سهمٌ من سهام القوم ، نَحري دونَ نحرِك ،... الحديث بطوله . متفق عليه[1].

فمثل هذا الفعل من أبي طلحة رضي الله عنه يدل على غاية المحبة والفداء ، وإلا كيف يتمنى قتلَ نفسه فداءً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لولا المحبة المتناهية العالية ؟ حيث إنه يتمنى أن يُصابَ نحره دون نحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ووجهه دون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يُقتلَ دون أن يُصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأدنى أذى ، وهذا غاية الفداء النابع من المحبة الكاملة التامة ، رضي الله تعالى عن أبي طلحة وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً لرسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة النساء مع الرجال ، رقم (١٣٦).

عليه وآله وسلَّم : حمايتهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم من كل أذى ، ولو أدى ذلك إلى هلاك أحدهم رضي الله تعالى عنهم .

وخير مثال في ذلك ـ ما ذكره علماء السير[1] ـ : تترّسُ أبي دجانة رضي الله عنه ؛ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم أُحُدٍ أيضاً ، حتى صار ظهره كالقنفذ من السهام .

ومن ذلك مباشرة أم عمارة رضي الله عنها القتال دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى أصيبت بعدة جروح في جسدها ، ولم تبال في ذلك[2].

فعن أم سعد بنت سعد بن الربيع قالت : دخلتُ على أم عمارة فقلت لها : يا خالة ؛ أخبريني خبرك . قالت : خرجت أولَ النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو وأصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ؛ انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقمت أباشر القتالَ وأذب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراحُ إليَّ .

قالت [أم سعد] : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور . فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ـ أقمأه الله ـ لما ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا . فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) انظر : السير والمغازي لابن إسحٰق (٣٢٨) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٥٧) بشرح الروض ، والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٦٨).

(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٥٧) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٦٧ – ٦٨).

وسلَّم ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .اهـ.

هذه امرأة ـ نعم امرأة ـ ووقفت هذا الموقف ، فما الذي حملها على ذلك ؟ رضي الله تعالى عنها وعن سائر نساء الصحابة .

ومن ذلك مقالة سعد بن الربيع رضي الله تعالى عنه وأرضاه التي عبَّر بها عن كل محب لهذا الحبيب صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ، وقال لي : « إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كيف تجدك ؟ ».

قال : فجعلت أطوف بين القتلى ، فأصبته وهو في آخر رمق ، وبه سبعون ضربةً ؛ ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت له : يا سعد ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : « أخبرني كيف تجدك ؟ ».

قال : على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وعليك السلام ، قل له : يا رسول الله ؛ أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وفيكم شفر [عين] يطرف . قال : وفاضت روحه رحمه الله تعالى . رواه البيهقي وابن إسحٰق(١).

فلم يكتف رضي الله عنه بما حصل له ، بل طلب من الأنصار رضي الله تعالى

---

(١) دلائل النبوة (٣ : ٢٤٨) والسير والمغازي (٣٣٤ - ٣٣٥) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٧١) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٧٨).

عنهم أن يفدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأقصى ما يملكون (عين تطرف) رضي الله تعالى عنه وعن سائر الصحابة ، وجمعنا بهم تحت لواء الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ونظير ذلك ما حصل مع أنس بن النضر رضي الله عنه ، والحديث متفق عليه[1].

لكن لا أعلم وفاء ومحبة من تقديم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على كل قريب ولو كان أباً وأخاً وزوجاً ، مجتمعين .

لقد مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بامرأة من بني دينار [أنصارية] وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل . تريد صغيرة . رواه ابن إسحٰق ، والبيهقي هكذا ، ورواه الطبراني من وجه آخر من حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، ورجاله ثقات إلا شيخه ، قاله الحافظ الهيثمي[2].

٢ ـ تعظيم ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : تعظيمُ كلِّ ما يتصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قول الله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾ وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب ثبوت الجنة للشهيد ، رقم (١٤٨).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٧٣) ودلائل النبوة (٣ : ٣٠٢) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٣٣) والمعجم الأوسط (٧ : ٢٨٠) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٩٣) وعيون الأثر (٢ : ٣٣) ومجمع الزوائد (٦ : ١١٥) ومجمع البحرين (٥ : ١٠٦).

والنصوص في هذا الموضوع كثيرة ، لكني سأقتصر على نصٍّ واحد فقط ، والله تعالى هو الموفق والمعين . وهو : تعظيم أبي دجانة رضي الله تعالى عنه سيفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلم يَقتل به هنداً ؛ زوجَ أبي سفيان ، في غزوة أحد ، عندما عرفها أنها امرأة ، تكريماً لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال : عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سيفاً يوم أحد فقال : « من يأخذ هذا السيفَ بحقه ؟ » فقمتُ فقلت : أنا يا رسول الله ؛ فأعرض عني . ثم قال : « من يأخذ هذا السيفَ بحقه ؟ » فقلت : أنا يا رسول الله . فأعرض عني . ثم قال : « من يأخذ هذا السيفَ بحقه ؟ » فقام أبو دجانة ؛ سماك بن خرشة ، فقال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فما حقه ؟ قال : « أن لا تقتل به مسلماً ، ولا تفرَّ به عن كافر » قال : فدفعه إليه ، وكان إذا أراد القتالَ أعلم بعصابة ـ حمراء .

قال : قلت : لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع . قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ، حتى انتهى إلى نسوة في سفح الجبل ؛ معهن دفوف لهن ، فيهن امرأة وهي تقول :

نحـــن بـــنات طـــارق ... نــمشي عــلى الــنمارق
إن تُقـــبلوا نعانـــق ... ونبســـط الـــنمارق
أو تدبـــروا نفـــارق ... فـــراق غـــير وامـــق

قال : فأهوىٰ بالسيف إلى امرأة ليضربها ، ثم كفَّ عنها . فلما انكشف له القتال . قلت له : كلُّ عملك قد رأيت ، ما خلا رفعك السيفَ على المرأة لم تضربها .

قال : إني ، والله أكرمت سيفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن أقتل به امرأة [لا ناصر لها] رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، ورواه البزار وغيرهما ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات . وقد ورد من طرق متعددة[1].

قلت : ويشهد له حديثُ أنس رضي الله تعالى عنه عند مسلم .

فقد أكرم سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يضرب به امرأة ، مع أنها مقاتلة ، وفعلت الأفاعيل ، لكن ليتم أمرُ الله تعالى في إسلامها .

٣ ـ تعنيف من أبطأ عن رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن الأمهات إذا تأخر أولادهن عن حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ فإنهن يعنفنهم ، وينلن منهم .

ويمثل ذلك : فعلُ أم حُذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهم .

لما أبطأ ولدُها حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم عن رؤيةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى مرت ليالٍ ، نالت منه نيلاً شديداً ، ولم تتركه من تعنيفها حتى أخبرها أنه سيصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويطلب منه أن يستغفر له ولها ، فسكنت .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : سألتني أمي منذ متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ قال : فقلت لها : منذ كذا وكذا . قال : فنالت

---

(١) البحر الزخار (٣ : ١٩٣ – ١٩٤) المستدرك (٣ : ٢٣٠ – ٢٣١) ودلائل النبوة (٣ : ٢٣٢ – ٢٣٣) والسير والمغازي (٣٢٦) وكشف الأستار (٢ : ٣٢٢ – ٣٢٣) ومجمع الزوائد (٦ : ١٠٩) وسيرة ابن هشام (٣ : ١٥٢ – ١٥٣) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ٣٢ – ٣٣).

مني ، وسبَّتني . قال : فقلت لها : دعيني فإني آتي النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأصلي معه المغرب ، ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك .

قال : فأتيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فصلَّيتُ معه المغربَ ، فصلّى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم العشاءَ ، ثم انفتل ، فتبعته ، فعرض له عارض فناجاه ، ثم ذهب ، فاتبعتُه ، فسمع صوتي ، فقال : « من هذا ؟ » فقلتُ : حذيفة . قال : « مالَكَ ؟ » فحدَّثتُه بالأمر . فقال : « غفر الله لكَ ولأمكِ »... الحديث بطوله ، رواه أحمد والترمذي وحسنه ، والنسائي في آخرين ، وصححه ابن حبان ، ورجال الجميع رجال الصحيح[1].

هذه امرأة ، لـمّا أبطأ ولدُها حذيفةُ رضي الله تعالى عنهما ـ كاتم سرِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ عن رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومجالسته عدةَ أيام ؛ لم تصبر على هذا الجفاء من ولدها ، فنالت منه ، وعنَّفته ، وسبَّته ، ولم ترض عن ولدها حتى ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصلى معه ، وطلب منه الاستغفارَ له ولأمه .

هذا هو الحب الصادق ، فإذا حالت ظروف دون وصول المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فلا يعقل أن يتركه فلذةُ كبدها حذيفة ، رضي الله تعالى عنها وعن ولدها وزوجها وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٩١ – ٣٩٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٨٠ – ٨١ ، ٩٤ – ٩٥) وفضائل الصحابة (١٧٢رقم ١٩٣) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٦٨ – ٦٩).

فما بال كثير من المسلمين تطول غيبتهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا يشتاقون إليه ، أو يتحرَّقون لرؤيته ، ومجالسته ، والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟؟؟ .

٤ ـ رفض أحدهم رضي الله تعالى عنه أن يعلو سطحاً يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تحته :

ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : التأدب معه ، وهذا الأدب له مظاهر متعددة .

فمن ذلك : رفضُ أبي أيوب رضي الله عنه أن يعلوَ سقفَ الحجرة التي فيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبات ليلتَه في زاوية من زوايا البيت ، مع زوجته رضي الله تعالى عنهما ، ورفض أن ينام فيها ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ينام في الدور السفل (الأرضي) مع أنه أرفق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه رضي الله تعالى عنه ، ولكنه الأدب ، لذا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : لا أعلو سقيفةً أنت تحتَها .

فعن أبي أيوب رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم نزل عليه ، فنزل النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم في السّفل ، وأبو أيوب في العلو ، قال : فانتبه أبو أيوب ليلةً ، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ! فتنحّوا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « السّفلُ أرفقُ » فقال : لا أعلو سقيفةً أنتَ تحتها . فتحوَّل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في العلو ، وأبو أيوب في السفل .

فكان يَصنع للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل

عن موضع أصابعه ، فيتتبع موضع أصابعه ، فصَنع له طعاماً فيه ثومٌ ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقيل له : لم يأكل ، ففزع وصعد إليه . فقال : أحرامٌ هو ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا ، ولكني أكرهه » قال : فإني أكره ما تكره ، أو ما كرهتَ .

قال : وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يُؤتىٰ . رواه مسلم[1].

ففي هذا الحديث ثلاثة أمور ، كلها في غاية الأدب الدّالة على الحب المتناهي من أبي أيوب رضي الله عنه للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

أ ـ تأدب أبي أيوب وزوجه رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلم يناما ليلتهما ـ لـمّا انتبها ـ في الدور العلوي ، وتنحيا في زاوية من زوايا البيت ، وبقيا حتى الصباح ، ولو كان الانتباه نهاراً لما تأخر ، لكنه لم يكن ليزعج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في الليل ، وبقي متحفزاً حتى الصباح . خشية أن يؤذيانه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ب ـ تبرك أبي أيوب رضي الله تعالى عنه بآثار أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد أن يأكل من الصحفة ، فلما رجعت الصحفة ولم ير فيها آثار أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فزع ، ولم يتمالك نفسه حتى صعد ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن سبب عدم وجود أثر أصابعه الشريفة ـ بعد أن أخبره أنه يتيمن موضع أصابعه ـ وهذا التبرك دالٌّ على غاية التعظيم والمحبة والاحترام ،... وإلا فما الذي حمله على ذلك لولاه ؟

ج ـ لما أخبر النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم أبا أيوب رضي

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة أكل الثوم ،... رقم (١٧١).

الله تعالى عنه أن الثوم ليس حراماً ، ولكنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يكرهه ، لأنه يناجي من لا نناجي (وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يُؤتىٰ) كرهه أبو أيوب رضي الله تعالى عنه من ساعته ، مع أنه كان يحبه ويأكله ، فما الذي حمله على كراهية الثوم وتركه لولا المحبة الصادقة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

رضي الله تعالى عن أبي أيوب وعن زوجه وعن سائر الصحابة الكرام ، ورزقنا اتباعهم ، والحشر معهم تحت لواء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وهناك قصص وأمور كثيرة جدّاً يطولُ ذكرها ، لكن حسبي ما ذكرت .

٥ ـ محبة ما يحبه صلى الله عليه وآله وسلَّم وكراهية ما يكرهه ، ولو كان أمراً جبليّاً :

ومن مظاهر محبة الإنسان في المدينة المنورة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن يحب كلَّ ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن يكره كلَّ ما يكرهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولو كان على خلاف هوىٰ النفس ، وقطع متعلقاتها .

وقد سبق قبل قليل ذكرُ حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، والذي في آخره ، قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ عن الثوم ـ : « لا ، ولكني أكرهه » فقال أبو أيوب رضي الله تعالى عنه : (فإني أكره ما تكره) مع أن أبا أيوب رضي الله تعالى عنه كان يأكله ، بدلالة صنعه للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وعن كريمة بنت همام ، أن امرأةً أتت عائشة رضي الله تعالى عنها فسألتها عن خضاب الحناء ، فقالت : لا بأس به ، ولكني أكرهه ، كان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يكره ريحه . رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ،

وسكت عنه أبو داود والمنذري رحمهما الله تعالى [1].

وأما مثال المحبة . فأقتصر على مثال واحد فقط :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لطعام صنعه ، قال أنس بن مالك : فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى ذلك الطعام ، فقرَّب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خبزاً من شعيرٍ ، ومرقاً فيه دبّاء وقديد .

قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يتتبع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة . قال : فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ ،... متفق عليه[2].

زاد مسلم في روايةٍ[3] قال أنس : رضي الله عنه : فما صُنع لي طعامٌ بعد ؛ أقدر على أن يُصنع فيه دُبّاءٌ إلا صُنع .

وفي رواية أبي الشيخ برجال ثقات[4] عنه رضي الله تعالى عنه قال : فأنا أحب القرعَ لحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إياه .

هكذا شأن المحب ؛ أن يحبَّ ما يحبُّه محبوبه ، وأن يكره ما يكرهُه محبوبه .

لقد أحب أنسٌ رضي الله تعالى عنه القرعَ لرؤيته رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢١٠) وسنن أبي داود : كتاب الترجل : باب في الخضاب للنساء ، رقم (٤١٦٤) وسنن النسائي : كتاب الزينة : باب كراهية ريح الحناء (٨ : ١٤٢) والآداب (٢٨٠) ومختصر سنن أبي داود (٦ : ٨٦).

وفي إسنادهم كريمة بنت همام ، قال الحافظ عنها في التقريب : مقبول.اهـ.

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب الخياط ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين ، رقم (١٤٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٤٥).

(٤) أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢٣٠) وانظر سنن الترمذي : كتاب الأطعمة : رقم (١٨٤٩).

وآله وسلَّم يحبه ، حتى صار لا يألو أن يُصنع له في كلِّ طعام يستطيعه ، كما كره أبو أيوب رضي الله تعالى عنه أكلَ الثوم لرؤيته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يكرهه ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قد بين له العلةَ في ذلك ، وكرهت عائشة رضي الله تعالى عنها الحناءَ ، لكراهية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم رائحتَه ، مع أنه لا بأس به .

وكلُّ هذه المذكورات من الأمور الجبلِّيَّة ، وليست من أمور التشريع ؛ في الحلال والحرام ، ولو ذهبتُ أذكر نماذج من ذلك لخرجنا عن الاختصار والإيجاز ، والله تعالى أعلم .

٦ ـ الحرص على رؤيته وقربه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعدم الابتعاد عنه :

ومن مظاهر محبة الإنسان في المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الحرصُ على رؤيته صلى الله عليه وآله وسلَّم مهما كانت الموانع .

ويمثل ذلك كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أقتصر على رواية بعضهم للتقريب :

ـ كان رجل من الأنصار رضي الله عنه ـ وكان محبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يفكر ؛ أنه إذا لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في اليوم تضيق به الدنيا ، فيخرج يبحث عنه حتى يراه ، فجلس يفكر ، إذا كانت هذه حاله في الدنيا ، فكيف في الآخرة ؟ إنه إن دخل الجنة كان مع عامة المسلمين ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في أعلى عليين ، وإن دخل النار ـ لا سمح الله تعالى ـ فإنه لن يراه أبداً .

أخذ هذا التفكير منه رضي الله تعالى عنه كل مأخذ ، حتى ضعف وذبل ، واصفر لونه ، وكأنه مريض .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : يا رسول الله ؛ والله إنكَ لأحبُّ إِلَيَّ من نفسي ، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي ، ومالي ، وأحبُّ إليَّ من ولَدي ، وإني لأكونُ في البيت ؛ فأذكرك ، فما أصبرُ حتى آتيك ، فأنظرُ إليكَ ، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك ، عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيين ، وإني إذا دخلتُ الجنةَ ، خشيتُ أن لا أراكَ ، فلم يردَّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً ، حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] رواه الطبراني ـ برجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي ، وهو ثقة ، كما قال الحافظ الهيثمي ـ ورواه ابن مردويه وأبو نعيم ، والضياء المقدسي في صفة الجنة وحسنه .

وللحديث شاهد بلفظه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني برجال الصحيح سوى عطاء بن السائب وهو ممن اختلط .

كما ورد من طرق أخرى مراسيل ، وبعضها بأسانيد صحاح إلى من أرسلها .

وقد ورد من حديث ثوبان رضي الله تعالى عنه بنحوه أيضاً[2].

فهذا يمثل شريحةً كبيرة من الصحابة رضي الله عنهم ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة النساء (٦٩).

(٢) المعجم الأوسط (١ : ١٥٢ – ١٥٣) والمعجم الصغير (١ : ٥٣ – ٥٤) المعجم الكبير (١٢ : ٨٦ – ٨٧) ومجمع البحرين (٦ : ١٦) ومجمع الزوائد (٧ : ٧) وتفسير الطبري (٨ : ٥٣٤ – ٥٣٥) وتفسير ابن كثير (١ : ٥٢٢ – ٥٢٣) والدر المنثور (٢ : ٥٨٨ – ٥٨٩) وفتح القدير (١ : ٤٨٥).

وانظر أسباب النزول للواحدي (١٥٨) ومختصر تاريخ دمشق (٥ : ٣٤٨) وتهذيب تاريخ دمشق (٣ : ٣٨٣) لبيان سبب نزول هذه الآية ، حيث ذكروا أنه ثوبان رضي الله تعالى عنه .

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأتيته بوَضوئه وحاجته ، فقال لي : « سل » فقلت : أسألك مرافقتَك في الجنة . قال : « أَوَ غيرَ ذلك ؟ » قلتُ : هو ذاك . قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود ». رواه مسلم[1].

إن الدنيا مهما طالت فهي قصيرة ، ولا شيء ، بينما الآخرة هي دار القرار ، وهي دار الحياة ، لذا سألها هؤلاء الأخيار ؛ لما فيها من القرب القريب ، والنعيم المقيم ، والسعادة التي لا تفنى ولا تبلى ولا تنقص ، والله تعالى أعلم .

هذان نموذجان ، واحد : يمثِّل الحرصَ على القرب في الدنيا ، والثاني : يمثِّل الحرصَ على القرب في الآخرة ، وكلاهما متلازمان ، لأن من كان حريصاً على القرب في الدنيا فهو عليه في الآخرة أشد حرصاً ، والله تعالى أعلم .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، وما ذكرته كاف للتدليل ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

٧ ـ التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلَّم :

وهذا باب واسع جدّاً ، وقد أُلفت فيه رسائل وكتب ، وقد شرع لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك بنفسه ، وسنَّ لهم ذلك ، سواء بتوزيعه صلى الله عليه وآله وسلَّم شعرَه الشريف عليهم ، أو بأخذ يده الكريمة ليتمسحوا بها ، أو بجمع عرقه صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو ينظر ، أو بطلبهم منه صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يضع يدَه الشريفةَ في الماء لينال بركته ، أو بطلبهم ثوبه الذي لبسه صلى الله عليه وآله وسلَّم ليكون كفناً لأحدهم أو لأمواتهم ،... أو برؤيته صلى الله

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب فضل السجود والحث عليه ، رقم (٢٢٦).

عليه وآله وسلَّم لهم وهم يتناولون فضلَ وَضوئه ،... أو يتناولون نخامته فيتمسحون بها وهو ينظر ،...إلخ.

ولم يكن هذا فعل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في حياته ، بل فعلوا ذلك من بعده بأدواته صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...

ويصعب إيراد النصوص لكثرتها ، لذا فإني أقتصر على ذكر بعضها للتقريب ، وهي مما فُعل بحضرته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو بأمره وفعله .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أتىٰ مِنى ، فأتىٰ الجمرةَ ، فرماها ، ثم أتىٰ منزلَه بِمِنى ، ونحر ، ثم قال للحلاق : « خذ » وأشار إلى جانبه الأيمن ، ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناسَ . رواه مسلم[1].

وفي رواية له : فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هٰهنا أبو طلحة ؟ » فدفعه إلى أبي طلحة .

وفي رواية له : فأعطاه أمَّ سُلَيم .

وفي رواية له : فأعطاه أبا طلحة ، فقال : « اقسمه بين الناس ».

ولا تعارض بين هذه النصوص ، ولا تناقض بين هذه الروايات ، بل طريق الجمع بينها ـ والله تعالى أعلم ـ أنه ناول أبا طلحة كلّاً من الشقين ، فأما الأيمن ؛ فوزَّعه أبو طلحة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأما الأيسر ؛ فأعطاه لأم سُليم زوجتِه بأمره صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً ،... ويكون الضمير في « اقسمه » يعود على الشق الأيمن .اهـ من الفتح[2].

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق ،... رقم (٣٢٣ – ٣٢٦).

(٢) فتح الباري (١ : ٢٧٤).

وفي رواية للبخاري[1] عنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لما حلق رأسَه كان أبو طلحة أولَ من أخذ من شعره .

وفي رواية له أيضاً[2] عن ابن سيرين قال : قلت لعَبيدةَ : عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أصبناه من قِبل أنس ـ أو من قِبَل أهل أنس ـ فقال : لأَن تكون عندي شعرةٌ منه أحبُّ إِلَيَّ من الدنيا وما فيها .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل علينا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال عندنا ، فعرق ، وجاءت أمي بقارورة ، فجعلت تَسلتُ العرقَ فيها ، فاستيقظ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : « يا أمَّ سُلَيم ما هذا الذي تصنعين ؟ » قالت : هذا عرقُك نجعلُه في طيبنا ، وهو من أطيب الطيب . رواه مسلم[3].

وفي رواية لمسلم عنه رضي الله تعالى عنه[4] فقالت : يا رسول الله ؛ نرجو بركتَه لصبياننا . قال : « أصبتِ ».

وعن أم سُلَيم رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يأتيها ، فيقيل عندها ، فتبسط له نِطعاً ، فيقيل عليه ، وكان كثيرَ التعرق ، فكانت تجمع عرقه ، فتجعلُه في الطيب والقوارير . فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا أم سُلَيم ؛ ما هذا ؟ » قالت : عرقك أدوف به طيبي . رواه مسلم[5].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

وانظر تعليق الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى على هذا النص : سير أعلام النبلاء (٤ : ٤٢ – ٤٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب طيب عرق النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والتبرك به ، رقم (٨٣).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٤).

(٥) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٥).

لقد اقتصرتُ على ذكر بعض الأحاديث الخاصة بالأنصار رضي الله تعالى عنهم ، وإلا فالنصوص عن الصحابة عموماً رضي الله عنهم متواترة لكثرتها ، وفي أمور متعددة ، وفي أوقات مختلفة ، وقد ذكرت جملة صالحة في غير هذه الرسالة ، وسيأتي ذكر بعضها أيضاً إن شاء الله تعالى ، والله تعالى الموفق والمعين .

٨ ـ تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلَّم وتوقيره وتكريمه ،... حتى لو كان غائباً :

فمن مظاهر توقيرهم وتعظيمهم وتكريمهم ،... لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في حال حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم : فداؤهم له بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، وتكريم وجهه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإجلالهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعدم إحداد النظر إلى وجهه الكريم ، وعدم ابتدائهم بالأكل قبله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا كانوا معه ، وتكريم ما مس يدَه الشريفة ، وإذا قدموا من سفر بدؤوا به صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ قبل ذهابهم إلى بيوتهم ، وتعظيم أدواته صلى الله عليه وآله وسلَّم ألا يمسَّها مشرك ، وإذا جلسوا عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم كأن على رؤوسهم الطير ، ولا يرفعون رؤوسهم إذا دخل عليهم ، كما لا يرفعون أصواتهم عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...

بل بلغ بهم رضي الله تعالى عنهم التعظيم والتوقير للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن أحدهم يتمنّى أن يُقَطّع أوصالاً بيد الأعداء ولا يُصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بشوكة وهو بين أظهر أصحابه رضي الله عنهم ، حتى قال أبو سفيان ـ قبل إسلامه ـ والله ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ محمداً .

وأقتصر على ذكر نصين فقط ، للتقريب والتنبيه ، وإلا فإن هذا الباب واسع

جدّاً ، وقد ذكرت أحوالهم رضي الله عنهم في (الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من الجذع إلى ثوبان).

فعن عمْرو بن العاص رضي الله عنه قال : ...وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأَ عينَيَّ منه ؛ إجلالاً له ، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ ، لأني لم أكن أملأ عينَيَّ منه ،... الحديث ، رواه مسلم[1] وقد سبق ذكره من قبل .

وليس هذا شأن عمرو رضي الله عنه فحسب ، بل هو حال عامة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم .

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في سفر ، فبينا نحن عنده ، إذ ناداه أعرابيٌّ بصوتٍ له جهوريٍّ : يا محمد . فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نحواً من صوته « هاؤم » وقلنا له : ويحك ، اغضض من صوتك ، فإنك عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد نُهيت عن هذا ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وعبد الرزاق والحميدي والطيالسي ، والترمذي وابن حبان وصححاه[2].

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، والحمد لله ، ذكرت كثيراً منها في غير هذه الرسالة .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ، رقم (١٩٢).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٢٤٠) ومصنف عبد الرزاق (١ : ٢٠٥ – ٢٠٦) ومسند الطيالسي (١٦٠) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٨ – ٣٩٠) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : رقم (٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦) والمعجم الكبير (٨ : ٦٧ – ٧٥ ، ٧٩ – ٨٠ من طرق) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٢) (٤ : ١٤٩ – ١٥١) والحديث جزء من حديث طويل ، رواه كثيرون .

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم... له صلى الله عليه وآله وسلَّم : ما حصل لهم رضي الله عنهم يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بما لا يحتاج إلى بيان .

وأما تعظيمهم وتكريمهم للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم... بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فالنصوص فيه كثيرة ، أقتصر على ذكر بعضها للتقريب .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت . فقالا لها : ما يُبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم . فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع . فهيَّجتهُما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها . رواه مسلم[1].

وعن جُبير بن نفير قال : قام أبو بكر رضي الله عنه إلى جنب منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فبكىٰ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أبو بكر رضي الله تعالى عنه على المنبر ، فقال : قد علمتم ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبكىٰ ، ثم أعادها ثم بكىٰ ، ثم أعادها ثم بكىٰ ، ثم قال : « إن الناسَ لم يُعطوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية ، فسلوهما الله عز وجل ،... ». الحديث برواياته . رواه أحمد والحميدي ، والبخاري في الأدب المفرد ، والنسائي وعبد الرزاق وابن أبي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها ، رقم (١٠٣).

شيبة وابن ماجه ، والترمذي والحاكم وابن حبان ، وصححوه ، ورواه الكثيرون عنه[1].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان لا يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا بكىٰ . رواه ابن سعد والدارمي[2].

وعن عمرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال : كنت لا تفوتني عشية الخميس إلا آتي فيها عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فما سمعته يقول لشيء قط قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى كانت ذات عشية ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . قال : فاغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، فأنا رأيته محلولة أزراره ،... رواه أحمد والدارمي وابن ماجه بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، ورواه آخرون[3].

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، والحمد لله تعالى ، ذكرت مجموعةً منها في غير هذه الرسالة . والله تعالى هو الموفق والمعين ، ونسأله تعالى مزيد فضله ورضاه ،

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣ - ١١) ومسند الحميدي (١ : ٥ - ٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٢٠٥) ومسند الطيالسي (٣ رقم ٥) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب (١٠٦) رقم (٣٥٥٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الدعاء : رقم (٣٨٤٩) والأدب المفرد (٢٤٤رقم ٧٢٥) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ٨٧٩ - ٨٨٨) ومسند أبي بكر للمروزي (٨٨ - ٨٩ ، ٩٣ - ٩٤) ومسند أبي يعلى (١ : ٤٩ ، ٧٥ - ٧٧ ، ٨٦ - ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٣) والمستدرك (١ : ٥٢٩) وصحيح ابن حبان (٣ : ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٢ - ٢٣٣) وموارد الظمآن (رقم ٢٤٢٠ - ٢٤٢١) وشرح السنة (٥ : ١٧٨) ومجمع الزوائد (١٠ : ١٧٣).

(٢) الطبقات الكبرى (٤ : ١٦٨) وسنن الدارمي (١ : ٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٤).

(٣) مسند أحمد (١ : ٤٥٢) ومسند الطيالسي (٤٣) وسنن الدارمي (١ : ٧٢) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب التوقي في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٢٣) والمستدرك (٣ : ٣١٤) ومصباح الزجاجة (١ : ٧) والمحدث الفاصل (٥٤٩ - ٥٥٠) والجامع لأخلاق الراوي (٢ : ٨ - ٩) وجامع بيان العلم (١ : ٧٩) والإلماع (١٧٦ - ١٧٧) الشفا (٢ : ٥٩٩ - ٦٠٠) وانظر شرحه لملا علي القاري .

ومرافقة نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٩ـ تعظيم سنته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والأدب معها ، والعمل على نشرها ، والدفاع عنها ،...إلخ.

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : تعظيم سنَّته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والمحافظة عليها ، والعمل بها ، والاحتجاج لها ، والإنكار على من خالفها ،...إلخ، وقد توسعت في بيان ذلك في (نشأة علوم الحديث) لذا أقتصر على ذكر بعض النصوص للتقريب والتنبيه ، ومن أراد زيادة المعرفة فلينظر في الكتاب المذكور .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا تمنعوا نساءَكم المساجدَ إذا استأذنكم إليها ».

قال : فقال بلالُ بنُ عبد الله [ولده] : والله لنمنعهن . قال : فأقبل عليه عبد الله ، فسبَّه سبّاً سيِّئاً ، ما سمعته سبَّه مثلَه قط . وقال : أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتقول : والله لنمنعهن ! متفق عليه ، واللفظ لمسلم[١].

فلم يسكت على ابنه ، عندما أعلن مخالفته للسنة ، مع أن الذي حمله هو الغيرة ، وقد جاء ذلك صريحاً في بعض الروايات[٢].

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، أنه رأى رجلاً يخذف ، فقال له : لا تخذف ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الخذف ـ أو كان يكره الخذفَ ـ وقال : « إنه لا يصاد به صيدٌ ، ولا يُنكأ به عدوٌ ، ولكنها قد تكسر السنَّ ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، رقم (١٣٤ – ١٤٠).

(٢) انظر فتح الباري (٢ : ٣٤٨ – ٣٤٩).

وتفقأ العينَ ».

ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له : أحدِّثك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه نهى عن الخذف ـ أو كره الخذفَ ـ وأنت تخذف ؟ لا أكلمك كذا وكذا .

وفي رواية لمسلم : لا أكلمك أبداً . متفق عليه(1).

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، والحمد لله رب العالمين ، لكن حسبي ما ذكرت .

١٠ ـ الحرص على اللحاق به صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : حرصهم على اللحاق به ، خاصة عندما ينكشف ما لأحدهم عند الله تعالى ، من منزلة ومكانة ، لذا اشتهر على لسان كثير منهم قوله عند الاحتضار :

غداً نلقى الأحبة ... محمداً وصحبه (وحزبه)

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كم من ضعيف متضعِّف ذي طمرين ؛ لو أقسم على الله ، لأبر قسمَه ، منهم البراءُ بن مالك ».

فإن البراء لقي زحفاً من المشركين ، وقد أوجع المشركون في المسلمين ، فقالوا : يا براء ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : إنك لو أقسمت على الله لأبرك ، فأقسم على ربك . فقال : أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم . ثم التقوا على قنطرة السوس ، فأوجعوا في المسلمين ، فقالوا له : يا براء أقسم على

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصيد والذبائح : باب الخذف والبندقية ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح : باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو ،... رقم (٥٤ - ٥٦).

ربك . فقال : أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم ، وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فمنحوا أكتافهم ، وقُتل البراء شهيداً . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وأبو نعيم والبيهقي والضياء[1].

١١ – الحرص على السكنى بجوار بيته ومسجده صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن شدة حرص أهل المدينة على قربه ومجاورته صلى الله عليه وآله وسلَّم أن همَّ بعضُهم أن يترك حيَّه وبيته ، وينتقل إلى جواره صلى الله عليه وآله وسلَّم وجوار مسجده ، مع ما هو معروف من شدة حرص الإنسان على البيوت التي فيها ذكريات الطفولة والصبا والشباب ، والحي الذي درج فيه ، والجوار الذي انتسب إليه ،...

وهذا ما فعله بنو سَلِمَة رضي الله تعالى عنهم ، حيث همّوا على هجر ديارهم التي عاشوا فيها ، وحيَّهم الذي طال مكثهم فيه ، وعُرف بهم ، إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجوار مسجده العامر .

لكن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ مع شدة حرصه على قُرب أصحابه رضي الله تعالى عنهم منه ـ يقدِّم المصلحةَ العامَّةَ على المصلحة الفردية الخاصة ، فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يريد أن تُعرى المدينةَ ، ولا أن تخلو من أطرافها ، لما في ذلك من مصالح مهمة ؛ في السلم والحرب ،... ومن الأمور الاجتماعية والسياسية والأمنية والصحية والبيئية ،...

---

(١) المستدرك (٣ : ٢٩١ – ٢٩٢) ومعرفة الصحابة (١ : ٣٨١) وحلية الأولياء (١ : ٣٥٠) ودلائل النبوة (٦ : ٣٦٨) والمختارة (٧ : ٢١٧ – ٢١٨) وأسد الغابة (١ : ٢٠٦) وعزاه الحافظ في الإصابة (١ : ٢٨١) للترمذي ، لكن الموجود في نسخ الترمذي المطبوعة (كتاب المناقب : باب مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه ، رقم ٣٨٥٤ ، وصححه) المرفوع فقط .

لذا طلب صلى الله عليه وآله وسلَّم منهم أن يلزموا ديارَهم فلا يبرحوها ، وحيَّهم فلا يتركوه ، وأخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن آثارَهم تكتب لهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أراد بنو سَلِمَة أن يتحوّلوا إلى قرب المسجد ، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تُعرى المدينة ، وقال : « يا بني سَلِمَة ؛ ألا تحتسبون آثارَكم ؟ ». فأقاموا . رواه البخاري[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : خلت البقاع حول المسجد ، فأراد بنو سَلِمة أن ينتقلوا إلى قرب السجد ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال لهم : « بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قربَ المسجد ؟ » قالوا : نعم يا رسول الله ؛ قد أردنا ذلك . فقال : « يا بني سَلِمَة ، ديارَكم ، تُكتب آثارُكم ، ديارَكم ، تُكتب آثارُكم ». رواه مسلم[2].

وللحديث روايات متعددة عنده وعند غيره .

فقد كره صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تترك أطراف المدينة خاليةً عاريةً ، وأراد أن تبقى عامرةً من كل أطرافها ، للمصلحة العامة ، ونبههم أنهم يستفيدون من كثرة خطاهم من بيوتهم إلى المسجد كثرةَ الأجر ، والله تعالى أعلم .

ـ القسم الثاني : على المجموع :

إن الأحاديث التي جاءت في هذا القسم كثيرة جدّاً أيضاً ، لكني أشير إلى بعض النصوص للتذكير .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب كراهية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تُعرى المدينة ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب فضل الخطا إلى المساجد ، رقم (٢٨٠ ، ٢٨١).

١ ـ موقفهم رضي الله تعالى عنهم يوم بدر :

ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : قولهم يوم بدر ، معتذرين عمن تخلَّف عن المعركة ؛ لو أنهم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم سيلقى قتالاً ما تخلَّفوا عنه .

وقد أوضح ذلك قولُ سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه معتذراً عنهم ، كما بيَّن من ناحية أخرى أن من تركوه من الصحابة في المدينة ليسوا بأقل محبة ممن حضر .

قال رضي الله عنه : يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدوَّنا ، فإن أعزنا الله وأظهرَنا على عدونا ؛ كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ؛ جلستَ على ركائبك ، فلحقتَ بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلَّف عنك أقوامٌ ـ يا نبي الله ـ ما نحن بأشد لك حبّاً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ، ويجاهدون معك[1].اهـ.

لا يعني قولُ سعد رضي الله تعالى عنه : (ركبتَ على ركائبك ،...) أنه يريد الهزيمة ، فحاشا وكلّا ، إذ لا يُتصوّر ذلك ، لأن الفرارَ من الزحف حرام وهو من أكبر الكبائر ، لذا لا يتصور وقوعه من الأنبياء عليهم السلام ، فضلاً عن سيدهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولكن قال ذلك للمقابلة مع (أعزنا الله وأظهرنا ،...) ثم للاعتذار عمن تخلف من الصحابة في المدينة ، رضي الله تعالى عن سعد وعن سائر الصحابة الكرام ما أحبهم لبعض .

---

(١) سيرة ابن هشام (٣ : ٣٦) وتاريخ الطبري (٢ : ٤٤٠) ودلائل النبوة (٣ : ٤٤) والاكتفاء للكلاعي (٢ : ٢١) السيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٤٠٣) وسبل الهدى والرشاد (٤ : ٣٠).

٢ ـ هو صلى الله عليه وآله وسلَّم أحب إليهم من عيونهم :

ومن مظاهر محبة أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أن كان صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبَّ إلى أحدهم من عيونه ، وهذا غاية المحبة والتعظيم .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة وفاء دين أبيه رضي الله عنه ، وفي آخر الحديث ـ قال : والله ، إن مجلسَ بني سَلِمَة لينظرون إليه ، هو أحبُّ إليهم من عيونهم ، ما يقربونه مخافةَ أن يُؤذوه ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد والدارمي برجال الصحيح ، وحسنه الحافظ في الفتح[١] . وقد روىٰ كثيرون قطعاً منه .

فهذه شهادة من جابر رضي الله تعالى عنه يخبر عن قومه ـ بني سَلِمَة ـ كيف يحبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهذا غاية التعظيم والمحبة ، لأنه لا أحب على الإنسان من عينيه ، ومع شدة حبهم العميق له صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا أنهم لا يقربونه خشية إيذائه ، فهو جمع بين نقيضين ، لكنهم قدموا مصلحةَ عدم إيذائه صلى الله عليه وآله وسلَّم على مصلحة محبتهم له وقربهم منه ، والله تعالى أعلم .

٣ ـ لم يكن أحدٌ أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أنهم لا يقدِّمون أحداً عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وهذا تطبيق لأمر الله جلت قدرته ، فقد قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[٢] .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٩٧ – ٣٩٨) وسنن الدارمي (١ : ٢٨ – ٢٩) ومجمع الزوائد (٤ : ١٣٥ – ١٣٧) وقال : خلا نبيح العنزي ، وهو ثقة ، وفتح الباري (٧ : ٣٩٨).

(٢) سورة التوبة (١٢٠).

لذا أخبر أنس رضي الله تعالى عنه : لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... الحديث ، رواه أحمد ، والترمذي وصححه ، والبخاري في الأدب المفرد ، في آخرين[1].

٤ ـ حرصهم رضي الله عنهم على قربه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة أهل المدينة المنورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنهم رضي الله تعالى عنهم لما سمعوا قولَه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يوم الفتح ـ : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن »[2] خشوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قرر البقاء في مكة ، وظنوا أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ما قال تلك المقالة إلا من باب الحرص على مكة وأهلها ، لذا قالوا فيما بينهم ذلك ، فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمقالتهم ، جاءوا إليه يبكون ، وأخبروه بأنهم ما قالوا الذي قالوا إلا من شدة حرصهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ورغبتهم الأكيدة ببقائه بينهم ، لذا عذرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأخبرهم بأنهم صدقوا فيما قالوا ، وعُذروا فيما نطقوا .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى قدم مكة ،... الحديث بطوله في قصة فتح مكة ، وفيه ، قال : فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ؛ أُبيحت خضراءُ قريش ، لا قريش بعد اليوم . ثم قال : « من

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٣٢ ، ٢٥٠ – ٢٥١) وسنن الترمذي : كتاب الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٢٧٦) والأدب المفرد (٣١٦) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٧ – ٤١٨) وشرح السنة (١٢ : ٢٩٤) والشمائل له (١ : ٣٠٢) وأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم (٦٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب فتح مكة ، رقم (٨٦).

دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن » فقالت الأنصار بعضُهم لبعض : أما الرجلُ فأدركته رغبةٌ في قريته ، ورأفةٌ بعشيرته .

قال أبو هريرة : فجاء الوحي ـ وكان إذا جاء الوحيُ لا يخفى علينا ـ فإذا جاء فليس أحدٌ يرفعُ طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى ينقضيَ الوحيُ ، فلما انقضى الوحي .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله ؛ قال : « قلتم : أما الرجل فأدركته رغبةٌ في قريته ؟ ».

قالوا : قد كان ذاك .

قال : « كلا ، إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم ، والمماتُ مماتكم ».

فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بالله وبرسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله ورسولَه يصدِّقانكم ويعذرانكم ». رواه مسلم(١).

لقد جاء الوحيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما قد قالوا ، فلما أخبرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بأنه هاجر إليهم ، وأنه ملازِمٌ لهم ، وأنه لا يَحيا إلا عندَهم ، ولا يموتُ إلا عندَهم : بَكَوْا ، واعتذروا ؛ بأنهم ما قالوا ذلك إلا حرصاً عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعلى قربه ، وعلى مصاحبتِه ، وعلى بقائِه صلى الله عليه وآله وسلَّم عندَهم ، فعذَرَهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بحالهم ، وصدَّقهم على مقالتهم رضي الله تعالى عنهم . وأخبرهم بأن الله جل شأنه ورسولَه صلى الله عليه وآله وسلَّم يصدقانهم ويعذرانهم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

وهكذا شأنُ المحبِّ أن يكون حريصاً على قرب محبوبه ، وعلى عدمِ ابتعاده عنه ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ التحسر على فقده صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وحرصهم على قربهم منه : تحسرهم على فقده ، وغياب مجالسِه عنهم ، وتذكر أيام الوصال لأنه لا أَمَرَّ على المحب من يوم البعاد (عذّب بها شئتَ غير البعد) وهذا هو حال الأنصار رضي الله تعالى عنهم لما مرض صلى الله عليه وآله وسلَّم وشعروا بالفراق قد اقترب .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار ـ وهم يبكون ـ فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم منا ، فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأخبره بذلك ،... الحديث ، وفيه خطبته صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيان فضل الأنصار والوصية بهم ، وسيأتي إن شاء الله تعالى . وهو متفق عليه[1].

فقد تذكروا مجلسه صلى الله عليه وآله وسلَّم منهم فلم يصبروا ، لأنهم سيفقدونه بعد قليل ، وما همهم الدنيا ، فقد طلقوها إلى غير رجعة ، ولكن الذي سيفقدونه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نفسه ، لذا كانت الخسارة بالنسبة لهم ـ كما هي بالنسبة لكل مسلم ـ كبيرة جدّاً ، والله تعالى المستعان .

٦ ـ تبجيله صلى الله عليه وآله وسلَّم وتعظيمه والقيام بحقه :

ومن مظاهر محبة المسلمين عموماً وأهل المدينة خصوصاً : تعظيم وتبجيل

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار ، رقم (١٧٦).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل تعظيم كلّ ما يتصل به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهذا ما حصل يوم الحُدَيْبِيَة ، إذ ظهرت فيه مظاهر متعددة لمحبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لنبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والتي يصعب حصولها من مرافق أو لزعيم ، ولكنه الحب الذي ملك عليهم جوارحهم ، وملأ جوانحهم .

فعن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ـ يصدِّق كل واحد منهما صاحبَه ـ قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم زمن الحُدَيْبِيَةِ ،... الحديث بطوله في قصة صلح الحديبية ، وفيه : والمغيرةُ بن شعبة قائمٌ على رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومعه السيف ، وعليه المِغْفَر ، فكلما أهوىٰ عروة [ابن مسعود ، وهو عمُّ المغيرة] بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ضرب يده بنعل السيف ، وقال له : أخِّر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بعينيه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهَه وجلدَه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ما يحدون إليه النظر تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدتُ على الملوك ، ووفدتُ على قيصر وكسرىٰ والنجاشي ، والله إن رأيتُ مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ محمداً ،... ثم ذكر لهم ما رآه . رواه البخاري[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .

لقد حوىٰ هذا الحديث من الأمور المهمة الكثير ، يهمني منها ما يلي :

ـ ضرب المغيرة رضي الله تعالى عنه يد عمِّه عروة ، وتهديده له بقطعها ، مع أن هذه عادة كانت مستمرة عندهم ، وهو أن المخاطِب يلمس لحيةَ مخاطبه .

وما فعله المغيرة رضي الله عنه هو تعظيمٌ وتوقيرٌ منه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تمس لحيتَه الشريفة يدُ مشرك .

شأنه شأن أم حبيبة رضي الله عنها حين طوت فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولم تسمح لأبيها أبي سفيان أن يجلس عليه ، وقالت له : (إنه فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه).

ـ تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بنخامته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو غاية التعظيم والتوقير والمحبة ، وإلا فما الذي يحملهم على تناولها بأيديهم ، ودلك وجوههم بها ـ مع أنها مما يستقذره الناس ـ ولكنه الحب ، وكفى .

ـ ابتدارهم رضي الله عنهم تنفيذ أمره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإسراعهم في ذلك ، ولا شك أن الدافع لهذه المبادرة إنما هو الحب ، والله تعالى أعلم .

ـ اقتتالهم على تناول فضل وَضوئه صلى الله عليه وآله وسلَّم للتبرك به ، وهذا غاية المحبة والتعظيم ، وإلا فمن الذي يُتبارك به وبآثاره ؟ إنما هو المحبوب ، وأقول : ليس هو مجرد الحب ، إنما هو التفاني فيه .

ـ خفض أصواتهم رضي الله عنهم عند محادثتهم عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم خشية أن يؤذوه برفع الصوت ، وهذا غاية التعظيم والتوقير والاحترام ،...

ـ عدم إحداد البصر منهم رضي الله عنهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلا

ينظرون إلا بطرف خافض ، وهذا غاية التعظيم والتوقير والاحترام والمحبة ، فهل يستوعب المسلمون حالَ الصحابة رضي الله عنهم مع رسولهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

ـ تعظيمهم رضي الله عنهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من تعظيم رعايا الملوك لملوكهم ، فقد كانوا رضي الله تعالى عنهم يعظمونه صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر مما يُعظَّم كسرىٰ وقيصر والنجاشي ـ ملوك الأرض آنذاك ـ فهل يعي المسلمون مكانةَ نبيهم صلى الله عليه وآله وسلَّم في نفوس أصحابه رضي الله تعالى عنهم ؟ أرجو .

هذه بعض مظاهر تعظيم الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذكرتها للتقريب والتنبيه ، وإلا فثمة مظاهر أخرى ، لكن حسبي ما ذكرت ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

٧ ـ أدبهم رضي الله عنهم في حال جلوسهم عنده صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبتهم وتقديرهم واحترامهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أنهم كانوا رضي الله تعالى عنهم إذا جلسوا في حضرته صلى الله عليه وآله وسلَّم كانوا في غاية الأدب والوقار والتقدير ، بحيث إنهم لا يرفعون رؤوسهم ، ولا يحدُّون أبصارهم ، ولا يكثرون من الحركة ، حتى كأن على رؤوسهم الطير .

فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأصحابُه عنده كأنما على رؤوسهم الطير قال : فسلمتُ عليه وقعدتُ ، قال : فجاءت الأعراب فسألوه ، فقالوا : يا رسول الله ؟... الحديث بطوله . وفيه عدة قضايا ، لكن هذا رواه أحمد وأبو داود والطيالسي ، وابن حبان والحاكم

وصححاه ، والطبراني والبيهقي[1].

وقد ورد نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، كما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

٨ ـ التبرك بأعضائه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم وتفانيهم في محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم : أنهم كانوا يتبركون بأعضائه الشريفة ، وبكل ما يتصل به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل إن من شدة تعظيمهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم وتفانيهم فيه لا يرغبون أن تسقط شعرةٌ من شعره الشريف في الأرض . وهذا غاية التعظيم والتوقير والتفاني .

وهذا باب واسع جدّاً ، أُلفت فيه رسائل ، لكن أقتصر على ذكر بعض النصوص للتقريب والتنبيه ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

فعن أنس رضي الله عنه قال : لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم والحلاقُ يحلقُه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلا في يد رجل . رواه مسلم[2].

وعنه رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا صلى

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٢٧٨) وسنن أبي داود : كتاب الطب : باب في الرجل يتداوى ، رقم (٣٨٥٥) ومسند الطيالسي (١٧١رقم ١٢٣٢) والمستدرك (٤ : ٣٩٩ – ٤٠٠) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٣٦) وموارد الظمآن (٤٧٥) والمعجم الكبير (١ : ١٤٤ – ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢) والسنن الكبرى (٩ : ٣٤٣) والآداب (٤٥٠ رقم ٩٩٨) وشعب الإيمان (٢ : ٢٠٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم من الناس وتبركهم به ، رقم (٧٥).

الغداةَ جاء خدمُ المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يُؤتىٰ بإناء إلا غمس يدَه فيها ، فربما جاؤوه في الغداة الباردة ، فيغمس يدَه فيها . رواه مسلم[1].

ومن ذلك تقبيل يده صلى الله عليه وآله وسلَّم ورجله وخاتم النبوة ، وقد تكرر ذلك من عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، سواء كانوا من الكبار ، أم كانوا من الصغار ، وما فيهم صغير ، رضي الله تعالى عنهم .



(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٤).

محبة المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومظهر حبها

لا أحلى من يوم التلاق بين المحبين ، كما لا أَمَرَّ من يوم الفراق .

ما أمر الفراق يا جيرة الحي ... وأحلى التلاق بعد انفراد
كيف يلتذ بالحياة معنى ... بين أحشائه كوري الزناد
عمره واصطباره في انتقاص ... وجواه ووجده في ازدياد

وكلُّ محبٍّ فارق أحبابه عاش مرارة الفراق ، وأسأل الله تعالى ألا يُطيل زمن الفراق بين المتحابّين .

فإذا التقى المتحابان فعلا ما يصعب ذكره ، ولا يمكن حصره ، أو تدوينه ، وإذا أمكن رصد الظاهر ، فإن خلجات الصدور الخفية لا يمكن رصدها ، وإن ظهرت بوادرها .

أما ترى ما حصل بين إبراهيم وإسماعيل على نبينا وعليهما الصلاة والسلام يوم التقيا بعد فراق طويل ، ما فعلا فيما بينهما ؟ كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند البخاري .

أما ترى ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حين لقي جعفر بنَ أبي طالب رضي الله عنه ، بعد غياب طويل زاد على عشر سنوات ، بعد عودته رضي الله تعالى عنه من هجرة الحبشة ، وكان اللقاء يوم فتح خيبر .

وهكذا كان اللقاء والوداع ، بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين المدينة .

ـ إضاءتها يوم دخوله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الهجرة :

لقد استقبلت المدينةُ المحبةُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ الحبيبَ المحبوبَ الغالي ، معبرةً عن حبها بإضاءتها عن فرحتِها يوم لقائه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبظلمتِها عن حُزْنِها يوم وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهذه صفة المحب الصادق .

وهكذا كانت المدينة المنورة ، فقد سعدت وفرحت وطربت ،... بلقياها لحبيبها المحبوب المبجل الغائب عنها منذ بدء الخليقة ؛ يوم لقائها به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، عندما قدم إليها ، وشرَّفها ـ باختيار الله تعالى لها دون سائر البلدان ـ كما حزنت بوداع الحبيب صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الفراق ، وعبَّرت عن الحالتين بما يناسب المقام فيهما .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : أولُ من قدم علينا مصعبُ ابنُ عُمير وابنُ أم مكتوم ، وكانوا يُقرئون الناسَ ،... ثم قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فما رأيت أهلَ المدينة فرحوا بشيء فرحهَم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى جعل الإماءُ يقلن : قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري[1].

هذا فرح أهل المدينة المنورة ، أما فرح المدينة المنورة نفسها فيوضِّحه ما يلي :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ أضاءَ من المدينة كلُّ شيء .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه إلى المدينة .

فلما كان اليوم الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أظلم من المدينة كلُّ شيء .

وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبَنا . رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه وأقره الذهبي ، وابن ماجه والدارمي والبغوي وأبو يعلى ، في آخرين[1].

فرحت به صلى الله عليه وآله وسلَّم عند قدومِه ، فأَضاءَ كلُّ شيء فيها ؛ من شدةِ فرحها ، ولم يُر يومٌ أَضْوأ من ذلك اليوم ، ولا أجمل ،...

وحزنتْ عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم يومَ انتقاله إلى الرفيق الأعلى فأظلمت ، وأظلمَ كلُّ شيء فيها ،... فكما أنكروا رضي الله تعالى عنهم قلوبهم ، يوم دفنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أظلمت هي الأخرى ، معبرةً عن حزنها العميق ، الذي لا يدانيه ولا يقاربه حزن ، فلبست لباس الإحداد ، والله تعالى المستعان .

وهكذا شأن المحب ، لقاء وفراقاً ، استقبالاً ووداعاً .

لذا صارت المنورة ، لأنه اسم مفعول ، وقد حصل التنوير .

ذلك أن الله تعالى جعل نبيَّه المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم نوراً ، فقال جل شأنه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[2]

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (٣٦١٨) والشمائل له (٣٣٣ – ٣٣٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١٦٣١) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥١٦) ومسند عبد بن حُميد (٣٨٦ – ٣٨٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٧٤) وسنن الدارمي (١ : ٤١) والمستدرك (٣ : ١٢ ، ٥٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٦٠١) والموارد (٥٣٠) ومسند أبي يعلى (٦ : ٥١ ، ١١٠) وشرح السنة (١٤ : ٤٩ – ٥٠) والشمائل له (٢ : ٧٥٦ – ٧٥٧) وانظر إتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١٢٤ – ١٢٥).

(٢) سورة المائدة (١٥).

كما جعله جل وعز مُنَوِّراً ، فقال تعالى في وصفه لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[1].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إنارته للمحسوسات فقال : « إن هذه القبورَ مملوءةٌ ظلمةً على أهلها ، وإن الله عز وجل يُنوِّرُها لهم بصلاتي عليهم ». رواه مسلم[2].

فإذا نوَّر الله تعالى القبورَ بصلاة نبيِّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على أهلها فما بالكم بالمعنويات[3]، والله تعالى أعلم .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة الأحزاب (٤٥ - ٤٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على القبر ، رقم (٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) انظر ما نشرته وكالة ناسا الأمريكية بتاريخ (٢٨ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ) من صور الأرض المظلمة وظهور النور من المدينتين المقدستين فقط ، وانظر جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ (٢٠ محرم ١٤٢٥ هـ).

المبحث الثاني
محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وقاطنيها

لقد بادل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أهلَ المدينة الحبَّ بمثله ، بل بأكثرَ ،... وبادلهم الودادَ بمثله ، بل بأزيد ، وبادلهم الشوق بمثله ، بل بأعمق ، وبادلهم التفاني والتضحية بمثلها ، بل بأغزر . فأعطاهم صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثرَ مما أَعطوه ، ومنحهم أضعافَ ما منحوه ، وقدَّم لهم أضعافَ ما قدَّموه ، وأكرمَهم أضعافَ ما أكرموه ، وحرص عليهم وعلى وجودِه صلى الله عليه وآله وسلَّم عندهم ؛ أكثرَ من حرصهم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

كيف وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أهل الوداد والوفاء ، والجزاء الحسن ، والحب والمنح والمكافآت ،...إلخ.

لقد وصف الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم مستعلٍ على الخُلُق ، لأن (على) تفيد الاستعلاء ، كما هو معلوم ، ووُصف الخُلُق بالعظيم تكريماً ، فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم مالك تلك الأخلاق التي لا فوقها أخلاق ، وهو مستولٍ عليها ، ومستعل فوقها ، وحائز على أزمَّتها وقيودها ، ومتحقِّقٌ بأعلى وأغلى ما فيها ،...

لقد انطوت فيه أخلاق جميع الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وزاد عليهم ، إذ كلُّ ما مدح الله تعالى به أنبياءَه السابقين عليهم السلام ووصفهم به

يندرج تحت هذه الآية الكريمة وآيةٍ أخرى ، وبقي من جزئياتها كثير من الفروع زائد على ما اتصفوا به ، كما بينتُه في (مكانة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم...).

لذا فإنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أعطى الأنصارَ رضي الله تعالى عنهم أضعافَ ما فعلوه معه من حبٍّ وفداء وتضحية ، وشوق وحنين ، ووداد ، وإكرام ،...إلخ، وهذا ما سنرى بعضَه في الصفحات التالية إن شاء الله تعالى .

وقد ظهرت محبتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة وقاطنيها بمظاهر متعددة كثيرة ؛ لقد أحب صلى الله عليه وآله وسلَّم جمادها ، وأحب نباتها وأشجارها وثمارها ، وأحب الناسَ فيها ،... بل أحبَّها كلَّها .

وقد ظهرت محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بما لم يُعهد مِن إنسان لبلد آخر غيرها ، وكيف لا يكون صلى الله عليه وآله وسلَّم كذلك ولا يُعرف في تاريخ البشرية من يدانيه في الوفاء ، أو يقاربه في الإحسان ، أو يساميه في البر والعطاء ،... لكني سأقتصر على ذكر بعض الفقرات ـ كنماذج ـ من محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ، مع ذكر بعض أدلتها ، لأن استيعاب ذلك بعيد جدّاً ، ولا يكفيه مثلُ هذا المختصر . راجياً منه تعالى قبولَها ، وأن يرزقنا محبتها ، والموت فيها ، من غير ابتلاء ولا محنة ، والحشر منها ، مع أهلها ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .



محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لجماد المدينة

لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كل شيء في المدينة ، لأن المحبة تقتضي من المحب أن يحب كلَّ شيء يتعلق بالمحبوب ، كما علَّمنا صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ذلك لأن المقصود من الدار إنما هو من سكن الدار ، وليس الحجر والدار .

وَما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي وَلَكِن حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

لذا فمن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : حبُّه للجماد فيها ، ذلك أن الجماد في المدينة صارت له خاصية لا توجد في غيرها ، إما لأنه من الجنة ، أو لأنه مبارك ، أو لأنه صار من الحرم ؛ الذي خصَّه الله تعالى عن غيره من الجمادات ، وأخيراً لحلول النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، فشمله الفضل والخيرية ، والله تعالى أعلم ، وأختار أربعةَ نماذج من ذلك ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

١ ـ محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لجبل أحد :

فمن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : محبتُه لجبل أحد ، ذلك الجبل الذي أحبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأظهر من السرور والفرح بصعوده صلى الله عليه وآله وسلَّم وشيوخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم عليه ، حتى صار حجةً على كلِّ من يدعي محبة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وما صدر منه غير معهود من الجماد ،...

لذا قابله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمثل ما صدر منه ـ بل بأزيد ـ فكان الجزاء

من جنس العمل ، لكن هيهات ، إذ الفارق بين المحبتين ونتائجها كبير جدّاً ، وأين محبة النازل من محبة العالي الكريم ، فأثرُ محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لجبل أحد جعلته في الجنة ، وهو على ترعة من ترعها ، وهذا غاية التكريم ، إذ هو من النوادر التي نُقلتْ إلى الجنة ـ كما بينت ذلك في فضائل المدينة المنورة ، وذكرتُ الأدلةَ على ذلك فيه ، فانظره .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى خيبرَ أخدمه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم راجعاً ، وبدا له أُحد ، قال : « هذا جبلٌ يحبُّنا ، ونحبُّه ،... ». متفق عليه[1].

وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوك ،... ـ وساق الحديث بطوله وفيه ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني مسرعٌ ، فمن شاء منكم فليسرع معي ، ومن شاء فليمكث ». فخرجنا ، حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابة ، وهذا أُحُدٌ ، وهو جبلٌ يُحبّنا ونُحبُّه ». متفق عليه[2].

وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم لأنه متواتر .

فكما أحبَّه أُحَدٌ ، أَحبَّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والمرء مع من أحب ، لذا كانت معيته مستمرةً حتى نقلته إلى الجنة ، والله تعالى أعلم ، وقد مر التعليق على الحديث من قبل .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الخدمة في الغزو ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... وباب أحد جبل يحبنا ونحبه ، رقم (٤٦٢ ، ٥٠٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب خرص التمر . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، رقم (١١) وكتاب الحج : باب أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٣).

٢ ـ محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لوادي العقيق :

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لجماد المدينة المنورة : محبتُه لوادي العقيق ، وما الذي جعل هذا الوادي بهذه المنزلة حتى أحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ إنه واد مبارك ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، لذا كيف لا يُحب ! وإن كنا لا نعلم ذلك لولا أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم أخبرنا به .

فعن سلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه قال : كنتُ أرمي الوحشَ ، وأصيدُها ، وأُهدي لحمَها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ففقدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : « سلمة ، أين تكون ؟ » فقلت : بَعُدَ عليَّ الصيدُ يا رسول الله ؛ فإنما أصيد بصدر قناة من نحو ثيب . فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أمَا لو كنت تصيد بالعقيق لشيَّعتُك إذا ذهبتَ ، وتلَقَّيْتُكَ إذا جئتَ ، فإني أحب العقيق ». رواه الطبراني وابن شبة ، وقال الحافظ الهيثمي : إسناده حسن[1].

نكتة :

هذا الحديث يدل على أن العقيق من الحل ، وليس من الحرم ، شأنه في ذلك شأن وادي قناة ، لأن من تحريم المدينة المنورة : تحريم الصيد في حرمها ، ولا خلاف في ذلك عند من يثبتون حَرَمَ المدينة ، وقد كان سلمةُ رضي الله عنه يصيد في هذين الواديين ، فأقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل بين له صلى الله عليه وآله وسلَّم رغبته في الصيد في وادي العقيق ، لأنه واد مبارك ، والله تعالى أعلم .

---

(١) المعجم الكبير (٧ : ٦) وتاريخ المدينة (١ : ١٤٨ ، ١٤٧) ومجمع الزوائد (٤ : ١٤) وكنز العمال (١٢ : ٢٦٦) حيث عزاه لأبي نعيم .

٣ ـ محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لتراب المدينة :

ومن مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لجماد المدينة المنورة إخباره عن ترابها بأنه شفاء ، وقد استعمله صلى الله عليه وآله وسلَّم في علاج بعض الأمراض ؛ من قرح أو دمل وغيرهما من الأمراض ، والله تعالى أعلم .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه ، أو كانت به قرحةٌ ، أو جرحٌ ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بإصبعه هكذا (ووضع سفيان سبّابَتَه بالأرض ثم رفعها) : « باسم بالله ، تربةُ أرضنا ، بريقة بعضنا ، ليُشفى سقيمنا ، بإذن ربنا ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[١] وله روايات أخرى .

وهذا الحديث يدل على عموم المرضى ، بدلالة قولها رضي الله عنها : (إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ منه) وبدلالة قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ليشفى سقيمُنا ».

كما يدل هذا الحديث على تخصيص تربة المدينة ، خلافاً لمن عمَّم الحكمَ في ذلك ، والله تعالى أعلم .

قال العلامة ابنُ القيم رحمه الله تعالى[٢] : ...ما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها ، وقد خالطت ريقَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقارنت رُقيته باسم ربه ، وتفويض الأمر إليه ؟اهـ.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب رقية النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب استحباب الرقية من العين ،... رقم (٥٤).

(٢) زاد المعاد (٤ : ١٨٧) والطب النبوي (١٤٥ – ١٤٦) وانظر فضائل المدينة المنورة .

ولهذا أفتى الإمامُ مالكٌ ـ إمامُ دار الهجرة ـ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً فيمن قال[1] : تربة المدينة رديئة ؛ أن يضرب ثلاثين دِرَّةً ، وأمر بحبسه ، وكان له قَدْر .

وقال رحمه الله تعالى : ما أحوجه إلى ضرب عنقه ؛ تربةٌ دُفن فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يزعم أنها غيرُ طيِّبة ! والله تعالى أعلم .

٤ ـ محبته صلى الله عليه وآله وسلم للمنبر الشريف :

لقد أبىٰ الله تعالى أن تكون لأحد من الخلق ـ مهما كان وارتفع ـ مِنَّةٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا فإن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ـ لما كافأ الجذعَ الذي حنَّ واشتاق إليه أن يكون شجرة في الجنة ، وكافأ جبلَ أحد الذي أحبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهتز طرباً وانتعاشاً تحته ومعه شيوخ الإسلام ، بأن كان في الجنة على ترعة من ترعها ، بعد أن أحبه صلى الله عليه وآله وسلم ـ لذا فإنه كافأ المنبرَ الشريف ـ الذي ارتجف خشوعاً وهيبةً عند سماعه لقراءة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو فوقه ـ بأنواع من المكافآت ؛ في الدنيا والآخرة .

ـ ففي الدنيا :

أ ـ تشديد اليمين عنده ، وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهن :

فعن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من حلف على منبري بيمين آثمة [زاد في رواية : ولو على سواك أخضر] تبوأ مقعده

(١) المغانم المطابة (٢١٨) ووفاء الوفاء (١ : ٦٨ – ٦٩) وأخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم (٢٨).

من النار ». رواه مالك والشافعي وأحمد وابن أبي شيبة وابن سعد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه آخرون [1] وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بنحوه .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ...من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبة ؛ يستحل بها مالَ امرئ مسلم بغير حق ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صرفٌ ولا عدل ». رواه النسائي والدولابي والطبراني في الأوسط برجال ثقات[2] ، وأصله عند مسلم .

ب ـ النهي عن رفع الصوت عنده :

فعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رجلٌ : ما أُبالي أن لا أعملَ عملاً بعد الإسلام ،

---

(١) الموطأ : كتاب الأقضية : باب ما جاء في الحنث على منبر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (١١) والأم (٧ : ٣٣ ، ١٨٣) والسنن (٢ : ١٦٤ رقم ٥٢٥) والمسند (١٥٣) ومسند أحمد (٣ : ٣٤٤ ، ٣٧٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٧ : ٢ – ٣) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥٣ – ٢٥٤) وسنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور : باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، رقم (٣٢٤٦) والسنن الكبرى للنسائي (٣ : ٤٩١) وتحفة الأشراف (٢ : ٢١٣) وسنن ابن ماجه : كتاب الأحكام : باب اليمين عند مقاطع الحقوق ، رقم (٢٣٢٥) والمنتقى لابن الجارود (٣١٠ رقم ٩٢٧) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣١٧ – ٣١٨) والمستدرك (٤ : ٢٩٦ ، ٢٩٦ – ٢٩٧) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٢١٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٣٩٨) (١٠ : ١٧٦) والسنن الصغرى (٤ : ١٦٣) والتمهيد (٢٢ : ٨٧) وانظر الزرقاني على الموطأ (٤ : ٢).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (٣ : ٤٩٢) وتحفة الأشراف (٢ : ٨) والكنى للدولابي (١٢ – ١٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٧) وانظر تعليقي على هذا الحديث في سنن الإمام الشافعي (٢ : ١٦٥ رقم ٥٢٦) حيث روىٰ أوله ، وهو عند مالك والشافعي وأحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه ،... في آخرين . وانظر التلخيص الحبير (٣ : ٢٢٩).

إلا أن أُسقيَ الحاجَّ . وقال آخر : ما أبالي أن لا أعملَ عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمُر المسجدَ الحرامَ . وقال آخرُ : الجهادُ في سبيل الله أفضلُ مما قلتم . فزجرهم عمر ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يوم الجمعة ، ولكن إذا صليتُ الجمعةَ دخلتُ فاستفتيتُه فيما اختلفتم فيه . فأنزل الله عز وجل ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ... ﴾ الآية إلى آخرها . رواه مسلم[1].

ـ وأما في الآخرة :

أ ـ قوائمه ثابتة في الجنة :

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن قوائمَ منبري هذا رواتبُ في الجنة ». رواه عبد الرزاق والحميدي وابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطحاوي وابن حبان وأبو يعلى في آخرين [2]. وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

ب ـ هو على ترعة من ترع الجنة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « منبري هذا على ترعة من ترع الجنة ،... ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ، رقم (١١١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٣ : ١٨٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٠) ومسند الحميدي (١ : ١٣٩) ومسند أحمد (٦ : ٣١٨ ، ٢٩٢ ، ٢٨٩) وسنن النسائي : كتاب المساجد : باب مسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم (٢ : ٣٥ - ٣٦) وتحفة الأشراف (١٣ : ٤١) والطبقات الكبرى (١ : ٢٥٣) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦٤) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٦٨) والمعجم الكبير (٢٣ : ٢٥٤) وفضائل المدينة للجندي (٣٩) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٤٠٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٤٨) ودلائل النبوة له (٢ : ٥٦٤).

والطبراني في الصغير والبغوي برجال الصحيح [1]. وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ج ـ هو على حوض النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي ». متفق عليه[2].

هكذا كافأ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هذا المنبر ، لأن ما جزاء من يحب إلا يحب ، ولكن مكافأته صلى الله عليه وآله وسلم لا تقابلها ما حصل من المنبر ، لكن لما كان العطاء على قدر المعطي كانت المكافأة أضعاف ما أعطاه الأول ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه .

☆☆☆☆☆

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٦٠ ، ٤٠١ – ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤٥٠ ، ٥٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٤٧) والروض الداني (٢ : ٢٤٩ رقم ١١١٠) والشمائل للبغوي (١ : ٧٥).

(٢) صحيح البخاري : كاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل ما بين القبر والمنبر . وصحيح مسلم : كتاب الحد : باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ، رقم (٥٠٠ ، ٥٠١).

محبته صلى الله عليه وآله وسلّم لأشجار المدينة وثمارها

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة : محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لنبات المدينة ، بما فيه أشجارها ، وثمارها ، وعشبها ، والنصوص في ذلك كثيرة ، لكنني أقتصر على ذكر ثلاثة أمور للتقريب والتنبيه :

١ ـ محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للجذع :

فمن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة : محبتُه للجذع الذي كان يخطب بجواره ، فلما فارقه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المنبر ـ في أول يوم ـ حنَّ الجذع ، شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحزناً على فراقه وبعده عنه ، وبقي كذلك حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من المنبر ، ووضع يده الشريفةَ عليه ، ومسحه ، ثم ضمه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والتزمه ـ وهنيئاً له تلك الضَّمَّة ، والالتزام ـ وتلك علامةُ الحبِّ ، ولكن الجذع ما زال يحن ، حتى خيَّره صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ بين أن يزرعَه في حائطه الذي كان فيه ، وبين أن يزرعَه في الجنة ، فاختار الجذعُ الحنَّانُ الجنةَ ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم له : « أفعل إن شاء الله ». الحديث . وقد مر بعضُ رواياته فيما سبق .

وزراعته صلى الله عليه وآله وسلَّم له في بستانه الذي كان فيه ـ وهو ميت ـ فيحيا من جديد ، لهو من أكبر الخوارق ، لأن في ذلك إحياءً لميت ، كما هو معلوم ، وهذا ليس في مقدور البشر ، إنما هي معجزة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه

وآله وسلَّم ، ثم إن زراعته صلى الله عليه وآله وسلَّم له في الجنة ـ وهو في الدنيا ـ تدل هي الأخرى على مدىٰ منزلته صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الله تعالى .

هذا الجذع فاز بما لم يفز به كثيرٌ من الخلق :

ـ لقد ضمه صلى الله عليه وآله وسلَّم بين يديه الشريفتين إلى صدره ـ وتلك لها دلالة عظمى ، وتعبير عن حب عميق ، لا يحصل عليه إلا من له حظ عظيم .

ـ تخييره بين أمرين ، وليسا في مقدور البشر من حيث النتيجة ، ولكنهما ممكنا الحدوث في قدرة الله تعالى .

ـ منزلة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الله تعالى ، حيث اشتاق إليه الجذع الميت . لذا عامله صلى الله عليه وآله وسلَّم معاملةَ العاقل ، وخيّره في غرسه في الجنة ، وبين حياته ثانية ، وكلاهما ليسا في مقدور البشر ، ولكن الوحي الرباني المخفي عنا ، ثم ما حظي صلى الله عليه وآله وسلَّم به من المنزلة العالية الرفيعة عند الله تعالى بتنفيذ رغباته ،... كفيل بتنفيذ ذلك ، والله تعالى أعلم .

ـ تخصيص الجذع بأن يكون شجرة في الجنة ، فيه دلالة على مدىٰ محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذا الجذع ، حيث وافق على قربه منه ، وإعادته شجرة دائمة الخضرة والنماء والعطاء ، لأن المرءَ مع من أحب .

ـ صار هذا الجذع ـ ببركة تلك المحبة الصادقة ـ أحدَ المخلوقات الدنيوية النادرة التي انتقلت إلى الجنة ، فسعدت بالبقاء فيها ، وعدم فنائها ، حيث تشرب عروقُه من مياهها ، ويأكل ثمرتَه المؤمنون .

ـ هذا التجاوب العجيب ـ ولا عجب ـ بين جبل أحد ؛ حيث أحب رسولَ الله

صلى الله عليه وآله وسلَّم فأحبه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبين محبة الجذع الحنان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فحن إليه ، واشتاق له عندما بَعُد عنه خطوات ، فقابله النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالحب الدائم ، هذا التجاوب منهما جعلهما يسعدان بالجوار القريب منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والمستمر في الجنة ، وعدم الابتعاد عن المحبوب . حيث كان حبُّه صلى الله عليه وآله وسلَّم لها أبلغ وأعمق وأعلى ،... فكانت النتيجة ما رأينا ، والله تعالى أعلم .

ـ كل ذلك يعطينا صورةً صادقةً عن محبة كائنات المدينة المنورة لهذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومحبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ، لكن بأكثر وأفخم وأبلغ . رزق الله تعالى المسلمين حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا جعل هذه الكائنات خيراً منهم .

٢ ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم لثمار المدينة بالبركة :

فمن مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة دعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم بالبركة في ثمارها ، وقد حصل ذلك ، ولله الحمد والمنة ، وهذا الدعاء هو جزء من دعائه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ككل ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان الناسُ إذا رأوا أولَ الثَّمِرِ جاؤوا به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اللهم بارك لنا في ثمَرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ،... » ثم يدعو أصغرَ وليد له فيعطيه ذلك الثمَر . رواه مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضائل المدينة ، رقم (٤٧٣ ، ٤٧٤).

وقد وردت عدة نصوص في ذلك ، ولله الحمد والمنة .

والمناسبة بين أول الثَّمَر وأصغر وليد ظاهرة لا تخفى ، والله تعالى أعلم .

٣ـ وضعه صلى الله عليه وآله وسلَّم أول الثَّمرِ على عينه الشريفة :

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لثمار المدينة : أنه إذا أُتي بأول الثمر قبَّله ، ثم وضعه على عينيه الشريفتين ، ثم يدعو بعد ذلك .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا أُتي بالباكورة من الثمار ؛ وضعها على عينيه ، ثم قال : « اللهم كما أطعمتنا أولَه فأطعمنا آخره ». ثم يأمر به للمولود من أهله .

وفي رواية ثانية : كان إذا أُتي بالباكورة من الثمرة قبَّلها ، وجعلها على عينيه ،... الحديث بطوله ، رواه الطبراني في المعجمين الكبير والصغير ، ورجال الصغير رجال الصحيح[(١)].

وقد ورد هذا الحديث أيضاً عن : أنس وعائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم .

وتقبيل الشيء دلالة على محبته ، والله تعالى أعلم .

ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فأطعمنا آخره » يحتمل معنيين :

الأول : أن يطول عمرُه صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى يُدركَ آخِرَ الثمر ، فيأكل منه ، كما أكل من أوله .

ثانياً : أن يحفظ الله تعالى الثمَرَ ، حتى يظهر آخرُه ، فيأكل منه المؤمنون ، كما

---

(١) المعجم الكبير (١١ : ١١٦) والمعجم الصغير (٢ : ٦٦) ومجمع الزوائد (٥ : ٣٩) وانظر فضائل المدينة المنورة ، لبيان روايات الحديث .

أكلوا من أوله ، والله تعالى أعلم .

وهذه الأحاديث برواياتها تدل على مباركة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على ثمار المدينة ، وهي نابعة من محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ، وقد حصلت تلك المباركة في المدينة ، ولله الحمد والمنة .



محبته صلّى الله عليه وآله وسلّم لإنسان المدينة

لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ـ كما سيأتي ـ ومن ذلك ؛ أن أحب إنسانها ـ من الأنصار رضي الله عنهم ـ محبةً لا تدانيها محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لأي قوم إلا ما كان للمهاجرين رضي الله تعالى عنهم ، وقد تعددت الروايات والنصوص في بيان محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم الزائدة الأكيدة لهم ، وهم أهل أن يُحبّوا ، فقد قاموا رضي الله عنهم بما لم يقم به إنسان على وجه الأرض ؛ في استقبالهم وفدائهم وحنوهم وجهادهم ،... وقضاء ما عليهم ،... إضافة لما اتصفوا به من الصفات العالية الجليلة ، ثم عرفنا السر فيما بعد ، فهم جيرانه صلى الله عليه وآله وسلَّم وأنصاره رضي الله عنهم .

وقد توسعت في بيان فضلهم رضي الله عنهم في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم) لذا فإني أقتصر على ذكر بعض الأمور ، ومن أراد الزيادة فلينظر في ذلك الكتاب .

١ ـ هم أحب الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن أهل المدينة ـ الأنصار رضي الله تعالى عنهم ـ هم أحبُّ الناس إليه ، أو من أحب الناس إليه . وإذا كانوا رضي الله تعالى عنهم قد أحبوه وعظَّموه وبجَّلوه وأكرموه ووقَّروه ،... صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا أن حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم فاق كلَّ ما فعلوا وقدَّموا .

لقد أحب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم رجالَهم ونساءَهم وأطفالَهم

وأحفادَهم ومواليَهم ،... وحلف صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم بذلك ، وليس بحاجة إلى يمين ، لذا نالوا الدرجةَ العليا ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : جاءت امرأةٌ من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومعها صبيٌّ لها ، فكلَّمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : « والذي نفسي بيده ، إنكم أحبُّ الناس إليَّ » مرتين .

وعند مسلم : ثلاث مرات . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعنه رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم رأى صبياناً ونساءً مُقبلين من عُرس ، فقام نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مُمْثِلاً ، فقال : « اللهم أنتم مِنْ أَحَبِّ الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحبِّ الناس إليَّ ». يعني الأنصارَ .

وعند البخاري : قالها ثلاث مرات . متفق عليه[2] أيضاً .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، ولله الحمد والمنة .

ومن كان أحبَّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما درجته ومكانته ، والمرء مع من أحب ؟

٢ـ هم موضع سره وأمانته صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم ، وتكريمه إياهم ، وثقته المطلقة بهم ،... : أن جعلهم موضعَ سِرِّه وأمانتِه ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنتم أحب الناس إليَّ » وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار ، رقم (١٧٥).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٤).

وثقته وجماعته التي يعتمد عليها .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الأنصارُ كرشي وعيبتي ، وإن الناسَ سيكثرون ، ويقلّون ، فاقبلوا من محسنهم ، واعفوا عن مسيئهم ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

ففي هذا الحديث أمور كثيرة ، يهمني منها :

ـ معجزة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وذلك بإخباره عن قلة الأنصار رضي الله عنهم ، مع كثرة غيرهم من القبائل ، وقد حصل .

ـ القبول من محسن الأنصار ، والعفو عن المسيء ، ما لم يكن في حد من الحدود .

ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم عن منزلة الأنصار رضي الله عنهم عنده ، حيث جعلهم موضع ثقته وأمانته .

ـ أما قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كرشي وعيبتي » فهذا من كلامه صلى الله عليه وآله وسلَّم الذي لم يُسبق إليه ، والمراد بطانته وخاصته ، وموضع سره وأمانته[2] ،...

ـ فهل منزلة تقابل هذه المنزلةَ ؟ وهل مكانةٌ تقابل هذه المكانةَ ؟ وهل ثقةٌ تقابل هذه الثقةَ ؟ رضي الله تعالى عن الأنصار والمهاجرين ، وحشرنا معهم برحمته تعالى تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلَّم . اللهم آمين .

٣ ـ هم شعاره صلى الله عليه وآله وسلَّم بينما الناس دثار :

لقد جعل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الأنصار رضي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ». وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٦).

(٢) انظر جامع الأصول (٩ : ١٦٦) وفتح الباري (٧ : ١٢١ - ١٢٢).

الله تعالى عنهم بطانتَه وخاصَّتَه وأصفياءه وألصق الناس به ، فكانوا كالشِّعار الذي يلي الجسد ، بينما الناس كالدِّثار الذي يكون فوقه . وفي هذا دلالة على شدة القرب والمنزلة والمكانة والمحبة ،... والله تعالى أعلم .

فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم حنين ، قسم في الناس ؛ في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصارَ شيئاً ، فكأنهم وجدوا ، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ؛ ألم أجدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي ، وعالةً فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً ، قالوا : الله ورسوله أَمَن .

قال : « ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ » قال : كلما قال شيئاً ، قالوا : الله ورسوله أَمَن .

قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ لولا الهجرةُ لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناسُ وادياً ، أو شِعباً ، لسلكتُ واديَ الأنصار وشِعبَها ، الأنصارُ شعارٌ ، والناس دثارٌ ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا ، حتى تلقوني على الحوض ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

في هذا الحديث الشريف أمور كثيرة ، يهمني منها :

ـ بيان منزلة الأنصار رضي الله تعالى عنهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث جعلهم الشعار ، وهو الثوب الذي يلي الجسد ، بينما سائر الناس

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩).

الدثار ، وهو الثوب الذي يكون فوقه ، وفرق بين الثوبين ، فهم ألصق الناس وأقربهم به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، الذين يتحسسون بجسده الشريف قرباً وتأثراً وثقةً ومودةً ،... والله تعالى أعلم .

ـ ظاهر أول الحديث فيه عتاب للأنصار رضي الله تعالى عنهم ، بينما في آخره بيان فضلهم ومنزلتهم ومكانتهم ، حيث جعلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بطانتَه وخاصتَه وأقربَ الناس إليه .

ـ ما جاء من بيان النسبة إليهم لولا الهجرة .

ـ بيان ما سيلقونه رضي الله تعالى عنهم من أَثَرَة عليهم ، وأن الناس سينفردون بالدنيا دونهم ـ وقد تحقق ـ وهذا عَلَمٌ من أعلام النبوة ، فعليهم الصبر حتى ينالوا حقهم على الحوض .

ـ ما اختص به الأنصار رضي الله تعالى عنهم من انفرادهم بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث رجعوا به ، وتركوا الدنيا ، لذا قال لهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[1] ـ : « أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به ».

نعم لقد فازوا بهذه الغنيمة الكبرى ، التي لا تقاربها ولا تدانيها أيُّ غنيمة ـ مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ إلى الأبد ، وأسأله تعالى أن يجمعنا بهم تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٢ – ١٣٥).

٤ ـ جعل الحياة حياتهم :

ومن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم وتكريمه إياهم : أن جعل صلى الله عليه وآله وسلَّم الحياةَ حياتهم ، والمماتَ مماتهم ، فكما عاش صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد الهجرة عندهم ، فستكون وفاته صلى الله عليه وآله وسلَّم عندهم أيضاً ، فيكونون متجاورين في الدنيا ؛ حياة وبرزخاً ، وإن شاء الله تعالى في الآخرة أيضاً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ في قصة فتح مكة وقد سبق ذكره ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله . قال : « قلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ؟ » قالوا : قد كان ذاك . قال : « كلا ، إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم ، والممات مماتكم ». فأَقْبَلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بالله ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذرانكم ». رواه مسلم[1].

فظاهر هذا الحديث عتاب للأنصار رضي الله تعالى عنهم ، لكن في آخره بيان منزلتهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث أخبر أنه هاجر إلى الله تعالى وإليهم ، وجعل الحياة حياتهم ، والممات مماتهم . وكان كذلك ، حيث عاش صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد الهجرة عندهم ، ثم كان مثواه وقبره بعد موته صلى الله عليه وآله وسلَّم عندهم أيضاً ، وهذا غاية التكريم الناشئ عن الحب ، لذا كان حبُّه صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم أضعافَ حبهم ، وأعمق وأشدَّ من حبهم رضي الله تعالى عنهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

٥ ـ جعل آية الإيمان حبهم ، فلا يحبهم إلا مؤمن ، وبالعكس :

لقد بلغ التكريم منتهاه ؛ أن جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم آيَةَ الإيمان حبَّ الأنصار رضي الله عنهم ، وآيَةَ النفاق بغضَهم ، فلا يبغضهم إلا منافق ، ولا يُحبهم إلا مؤمن ،... وهذا غاية التكريم والتقدير المنبعث عن الحب المتناهي الذي لا يدانيه حبٌّ آخر ، والله تعالى أعلم .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار ، وآيةُ النفاق بغض الأنصار ». متفق عليه(١).

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول للأنصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله ». متفق عليه(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يبغض الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر ». رواه مسلم(٣).

ورواه بلفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه(٤).

ففي هذه الأحاديث الشريفة أمور جليلة مهمة ، يهمني منها ما يلي :

ـ جعل آية الإيمان حب الأنصار رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب علامة الإيمان حب الأنصار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن حب الأنصار وعليٍّ رضي الله عنهم من الإيمان ، رقم (١٢٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب حب الأنصار من الإيمان . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٩).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣١).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣٠).

ـ جعل آية النفاق بغض الأنصار رضي الله تعالى عنهم .

ـ لا يوجد مؤمن على وجه الأرض إلا يحب الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، فأيما امرئ لم يجد هذا من نفسه فليتَّهمها ، وليبادر إلى التوبة والندم ، والإقلاع عنه .

ـ لا يوجد مؤمن على وجه الأرض يبغض الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، فمن وجد ذلك في نفسه فليستغفر الله تعالى وليتب ، وليقلع عن ذلك الذنب .

ـ وأهم شيء هو ما كان نتيجة ذلك ، وهو محبةُ الله تعالى لكل من يحبُّ الأنصارَ ، وبغضه تعالى لكل من يبغض الأنصار رضي الله تعالى عنهم .

أسأله تعالى أن يكرمنا والمسلمين بمحبتهم ، ولا يجعل في قلوبنا غلّاً لأحدهم ، وأن يحشرنا معهم ، تحت لواء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

لقد خُصُّوا رضي الله تعالى عنهم بهذه المناقب العظمى ، لِمَا فازوا به دون غيرهم من القبائل ، من إيواء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن معه من المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ، والقيام بأمره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم مع الخصاصة ،... لذا جاء الترغيب في حبهم ، والتحذير من بغضهم ، حتى جعل ذلك علامة الإيمان والنفاق ، تنويهاً بعظيم فضلهم ، وتنبيهاً على كريم فعلهم ،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

والمراد : هو حب جميعهم ، وبغض جميعهم ، لأن ذلك إنما يكون للدين ، والله تعالى أعلم[1] .

---

(١) فتح الباري (١ : ٦٣) وانظر فيه (٧ : ١١٣) لكلام ابن التين رحمه الله تعالى .

٦ ـ لولا الهجرة لكان صلى الله عليه وآله وسلَّم واحداً منهم :

لقد بلغ الأمر ذروته عندما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه لولا الهجرة لكان صلى الله عليه وآله وسلَّم واحداً منهم .

وأوضح صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم ذلك الترجي ؛ أنه لو سلك الناس وادياً أو شِعباً لسلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم واديَهم أو شِعبَهم ، وهذا غاية التكريم والتبجيل ، والمحبة والتقدير ، أن يكون واحداً منهم ، وأن يترك وادي قريش ـ ومن ثَمَّ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ـ ويسلك واديَهم وشِعبَهم ،... رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، وقد كثرت الأحاديث في ذلك ، لكني أقتصر على ذكر بعضها للتقريب .

فعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً أو شِعباً ؛ لسلكتُ واديَ الأنصار وشعبَها ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[(١)].

ورواه البخاري[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يوم حنين ، وتقسيم الغنائم ، وإعطاء المؤلفة قلوبهم دون الأنصار ـ : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً ، وسلكت الأنصار شِعباً ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التمني : باب ما يجوز من اللو . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وكتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ».

لسلكت واديَ الأنصار أو شِعبَ الأنصار ». متفق عليه[1].

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى : لما كانت العادة أن المرء يكون في نزوله وارتحاله مع قومه ، وأرضُ الحجاز كثيرة الأودية والشعاب ، فإذا تفرقت في السفر الطرقُ ، سلك كلُّ قوم منهم وادياً أو شِعباً ، فأراد أنه مع الأنصار .

قال : ويحتمل أن يريد بالوادي : المذهبَ ، كما يقال : فلان في وادٍ ، وأنا في وادٍ ، والله تعالى أعلم .اهـ من الفتح[2].

قلت : وعلى الاحتمالين فهما دلالة على مدىٰ الحب والتكريم والتقدير لهم ، وإن كان الأول أولىٰ ، والله تعالى أعلم .

٧ ـ الوصية بهم :

ومن شفقة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالأنصار رضي الله تعالى عنهم ورحمته وعطفه ،... ومحبته بهم : أن أوصىٰ صلى الله عليه وآله وسلَّم من يلي أمراً من أمور المسلمين بهم خيراً ، لأنهم أدّوا الذي عليهم ، وعلى المسلمين أن يؤدُّوا إليهم الذي لهم ، مقابل ما قدَّموا ، حيث قدَّموا أغلى ما عندهم ؛ من مال وسكن وأرواح ودماء ،... فكان الوفاءُ أن يُقابلوا بالأريحية والفضل والتكريم .

ومن ذلك : أن يتقبل عمل المحسن منهم ، ويتجاوز عن المسيء منهم في غير حد .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار ـ وهم يبكون ـ فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التمني : الباب السابق ، وكتاب مناقب الأنصار : الباب السابق ، وكتاب المغازي : باب غزوة الطائف . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣٣ - ١٣٥ ، ١٣٩).

(٢) فتح الباري (٨ : ٥٢) وانظر : أعلام الحديث للخطابي (١٧٥٩ - ١١٧٦٠).

ذكرنا مجلسَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم منا ، فدخل على النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد عصب على رأسه حاشية برد ، قال : فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعَيْبتي ، وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ». متفق عليه[1].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وعليه ملحفةٌ ، متعطِّفاً بها على منكبيه ، وعليه عصابةٌ دسماءُ ، حتى جلس على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، إن الناس يكثرون ، وتقل الأنصارُ ، حتى يكونوا كالملح في الطعام ، فمن وليَ منكم أمراً يضرُّ به أحداً ، أو ينفعه ، فليقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ». رواه البخاري[2].

ففي هذين النصين الكريمين أمور مهمة ، يهمني منها ما يلي :

ـ الوصية بهم رضي الله تعالى عنهم ، وهذا من مقدمات التكريم والعطف والشفقة والرحمة ورد الجميل .

ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم بمنزلة الأنصار رضي الله تعالى عنهم عنده ؛ فهم كَرِشُه وعَيْبَتُه ، كما هي منزلتهم في الإسلام .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار ، رقم (١٧٦).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

ـ شهادته صلى الله عليه وآله وسلَّم بأداء ما بايعوا عليه : « وقد قضوا الذي عليهم » وهذه شهادة في جبين كل واحد منهم .

ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم بوجوب أداء الذي بقي لهم ، وهذا لازم من كل مسلم .

ـ إخباره صلى الله عليه وآله وسلَّم بأنهم سيقلّون ، وهذه معجزة نبوية ظاهرة ، كما هو ملاحظ الآن ، فأين عدد أحفاد الأنصار إذا قيسوا بغيرهم ؟؟؟

ـ في قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فمن وَلِي منكم أمراً ،... » إشارة بأنهم لن يكونوا أمراء ، لذا كانت الخلافة والإمارة في غيرهم ، اللهم قيادة بعض الجيوش ، رضي الله تعالى عنهم .

ـ وصيته صلى الله عليه وآله وسلَّم الخلفاء والأمراء والقضاة ـ وكل من بيده أمر ـ أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، ما لم يكن في حدٍّ ، وإن كان قد وقع نادراً ، ولله الحمد والمنة .

كل ذلك رد للجميل ، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى قُبيل الخاتمة .

٨ ـ إكثاره صلى الله عليه وآله وسلَّم من الدعاء لهم :

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم : أن كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يكثر من الدعاء لهم ، ولنسائهم ، ولأبنائهم ، ولذراريهم ، ولأتباعهم ، ولمواليهم ،... وهذا كله فضل من الله جل شأنه أكرم به الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، على لسان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث كان هو الذي يدعو لهم ـ ودعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم مستجابة بإذن الله تعالى ـ لذا نالوا الفضلَ والتكريمَ ، إضافةً لما في ذلك

من شدة محبته لهم ، وإكرامه صلى الله عليه وآله وسلَّم إياهم . وقد ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ». متفق عليه[1].

زاد الترمذي رحمه الله تعالى في هذا الحديث[2] : « ولذراري الأنصار ، ولذراري ذراريهم ».

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم استغفر للأنصار ، ولذراري الأنصار ، ولموالي الأنصار . رواه مسلم[3].

زاد الترمذي[4] : « ولنساء الأنصار ».

وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال : قالت الأنصار : يا رسول الله ؛ لكل نبي أتباع ، وإنّا قد اتبعناك ، فادع الله أن يجعل أتباعَنا منا ، فدعا به .

وفي رواية ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اجعل أتباعَهم منهم ». رواه البخاري[5].

والمراد ـ والله تعالى أعلم ـ أن يقال لأتباعهم : الأنصار أيضاً ، حتى تتناولهم الوصية بهم بالإحسان إليهم ، ونحو ذلك[6].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة المنافقون : باب قوله : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٢).

(٢) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الأنصار وقريش ، رقم (٣٩٠٢).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٣).

(٤) سنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٩٠٩).

(٥) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب أتباع الأنصار .

(٦) انظر : فتح الباري (٧ : ١١٥).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الوفيُّ يدعو يوم حفر الخندق للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم جميعاً ، فيقول :

« لا عيش إلا عيش الآخرة ، فأصلح الأنصار والمهاجرة ».

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فأكرم الأنصار والمهاجرة ».

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار ». متفق عليها[1] من حديث أنس وسهل رضي الله تعالى عنهما .

فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم رضي الله تعالى عنهم بالمغفرة والرحمة والإصلاح والتكريم ،... ولأتباعهم معهم ، والله تعالى أعلم .

وكل ذلك دلالة على مدىٰ محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم ، وتكريمه إياهم ، وحنوه وشفقته عليهم ، مع رد الجميل ، وحسن الوفاء ، والعطف والإحسان ، حشرنا الله تعالى معهم تحت لوائه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٩ ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم على من أرادهم بسوء :

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وتكريمه لأهل المدينة أن هدَّد من يُخيف أهل المدينة ـ بأي نوع من الإخافة ـ أن يذوب في النار كما يذوب الملح في الماء ، وكما ينماع الرصاص في النار ، لأنه ملعون ، يلعنه الله تعالى وملائكتُه والناسُ أجمعون ، لا يقبل الله تعالى منه عملاً صالحاً ؛ لا فرضاً ولا نفلاً ، وأن الله تعالى سيخيفه ، كما أخاف أهلَ المدينة ، وقد اعتبر صلى الله عليه وآله وسلَّم من أخاف أهل المدينة فقد أخافه هو صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا استحق هذه العقوبةَ القاسية الشديدة .

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : أصلح الأنصار والمهاجرة . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة الأحزاب ، وهي الخندق ، رقم (١٢٦ – ١٣٠).

ذلك لأن الأصل هو تكريم أهل المدينة ومحبتهم ،... لا إخافتهم .

هذا التهديد والوعيد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يتضمن وجوب الإحسان إلى أهل المدينة ، والصفح عنهم ، كما يتضمن وجوب محبتهم ، وحسن الظن بهم ، لا الحقد والبغض والكراهية لهم .

ومن الملاحظ أن هذه الإرادة تكتب على الإنسان في المدينة لمن أراد السوء بأهل المدينة ، شأن ذلك شأن الهم بالإلحاد في مكة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

فمن أراد سوءاً في أهل المدينة أو إلحاداً في مكة ، فإنه يكتب عليه .

وكل ذلك دلالة على المحبة المتناهية منه صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل المدينة ، لأنهم جيرانه ، وأقرب الناس إليه ، فهو الذي يدافع عنهم ، ويحامي عنهم ، ويجرد سهمَ الرد عنهم ، ولعله صلى الله عليه وآله وسلَّم علم أنهم سيضعفون عن مقاومة ظالم أو غاشم أو معتد ، لذا حذّر وهدّد ، حتى لا يقع مسلم تحت هذا الوعيد الشديد ، والله تعالى أعلم .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يكيد أهلَ المدينة أحدٌ ، إلا انماع كما ينماع الملحُ في الماء ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أراد أهلَ هذه البلدة بسوء - يريد المدينة - أذابه الله كما يذوب الملح

---

(١) سورة الحج (٢٥) وانظر : مكانة الحرمين (٩٢ – ٩٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من كاد أهل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء ،... رقم (٤٩٤).

في الماء ». رواه مسلم[1].

وفي رواية له[2] عن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ...ولا يريد أحد أهلَ المدينة بسوء ؛ إلا أذابه الله في النار ، ذوبَ الرصاص ، أو ذوبَ الملح في الماء ».

ورواه أيضاً[3] من حديث أبي هريرة وسعد رضي الله عنهما .

وعن السائب بن خلاد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أخاف أهلَ المدينة أخافه الله عز وجل ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ». رواه أحمد والنسائي والطبراني وابن أبي عاصم برجال الصحيح[4].

وقد ورد هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، وقد ذكرت رواياتهم في فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أخاف أهل المدينة ـ وفي رواية : هذا الحيَّ من الأنصار ـ فقد أخاف ما بين جنبي ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي والبخاري في تاريخه والطبراني والبزار برجال الصحيح[5].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩٢ – ٤٩٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... رقم (٤٦٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء ، رقم (٤٩٥).

(٤) مسند أحمد (٤ : ٥٥ – ٥٦) والسنن الكبرى للنسائي (٢ : ٤٨٣) والمعجم الكبير (٧ : ١٦٩ – ١٧١ من طرق) والآحاد والمثاني (٤ : ١٧١) وحلية الأولياء (١ : ٣٧٢).

(٥) مسند أحمد (٣ : ٣٥٤ ، ٣٩٣) وفضائل الصحابة له (رقم ١٤٢١) ومسند الطيالسي (٢٤٢ رقم =

ومن الملاحظ أن كل هذه النصوص جاء الخطاب فيها للعموم ، ليكون شاملاً لكل كائدٍ ومُسيءٍ ومُخيفٍ ،... سواء كان قريباً أم بعيداً ، ساكناً فيها أم خارجاً عنها ، وَ وَ وَ ، فيشملهم ذلك التهديد والوعيد ، والله تعالى أعلم .

فما هذه المحبة العالية الرفيعة لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ حتى جعلت ما يقلقهم يقلقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ وما يخيفهم يخيفه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ وما يزعجهم يزعجه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ أسأله تعالى أن يكرمنا بالأدب في هذا الجوار ، ويرزقنا محبة المدينة وأهلها ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

إلى غير ذلك من مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لسكان المدينة المنورة ، سواء كانوا من الأنصار أم من غيرهم ، وقد توسعت في بيان فضل الأنصار رضي الله عنهم في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) فانظره .

☆☆☆☆☆

= ١٧٦٠) ومنحة المعبود (٢ : ١٣٨) والتاريخ الكبير (١ : ٥٣) (٤ : ٣٥) (٧ : ٤٠٤) (٨ : ٢٨٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٨٠ - ١٨١) وكشف الأستار (٣ : ٣٠٤) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧ - ٣٨) وانظر صحيح ابن حبان (٩ : ٥٥).

محبته صلى الله عليه وآله وسلّم للمدينة

إن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الوفي للمدينة المنورة ـ كمدينة ـ : كثيرة جدّاً ، يصعب ذكرها في مثل هذا المختصر ، كيف وقد بدأت تلك المظاهر من يوم وصوله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة ، يوم الهجرة ، حيث دعا صلى الله عليه وآله وسلَّم بتحبيبها ، وتصحيحها ، وبالبركة فيها ، ونقل ما فيها من حمى إلى غيرها ،... لذا فإني سأقتصر على ذكر بعض تلك المظاهر للتقريب والتنبيه ، والله تعالى هو الموفق والمعين :

١ ـ تحريمه صلى الله عليه وآله وسلَّم لها :

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة تحريمها ـ بكل مظاهر التحريم ـ وما فتئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يذكر ذلك التحريمَ في مواطن وأزمنة مختلفة حتى يُنشر ، ولذلك نقله عشرات الصحابة رضي الله تعالى عنهم عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، وبألفاظ مختلفة ، ذكرتُ كثيراً منها في فضائل المدينة ، كما ذكرت جملة صالحة في المختصر ، لذا فإني سأشير إلى بعض النماذج من تلك الأحاديث ، ومن أراد زيادة الاطلاع فلينظر في (فضائل المدينة المنورة ، ومختصره) يجد النصوص الكثيرة .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...إني أحرِّم ما بين لابتيها ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم(١).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الخدمة في الغزو ، وباب من غزا بصبيٍّ للخدمة . وصحيح =

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : « حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ما بين لابتي المدينة ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[١].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني أحرِّم ما بين لابتي المدينة ؛ أن يُقطعَ عِضاهها ، أو يقتلَ صيدُها ،... ». رواه مسلم[٢].

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن إبراهيم حرَّم مكةَ ، وإني أُحرِّم ما بين لابتيها » يريد المدينة . رواه مسلم[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم إن إبراهيم حرَّم مكةَ ، فجعلها حرَماً ، وإني حرَّمتُ المدينةَ حراماً ما بين مَأْزِمَيْها ؛ أن لا يُهراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاحٌ لقتال ،... ». رواه مسلم[٤].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن إبراهيم حرَّم مكة ، وإني حرَّمتُ المدينة ما بين لابتيها ، لا يُقطع عضاهها ، ولا يُصاد صيدُها ». رواه مسلم[٥].

= مسلم : كتاب الحد : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٢).

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لابتي المدينة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٢).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٩).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٦).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥).

(٥) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٨).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « حُرِّمَ ما بين لابتي المدينة على لساني ،... ». رواه البخاري[1].

وانظر فضائل المدينة المنورة ومختصره ، لبيان وجه الجمع بين هذه الأحاديث الشريفة وغيرها مما هو بنحوها وبين تحريم الله تعالى المدينة على لسان نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فهذه النصوص الكريمة وغيرها تدلُّ على مدىٰ محبَّة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ، لذا حرَّمها تحريماً مؤبَّداً ؛ فلا يُعضد شجرُها ، ولا يُختلى خلاها ، ولا يُنفَّر صيدُها ، ولا تُلتقط ساقطتُها ، ولا يُحمل فيها سلاحٌ لقتال ، ولا يهراق فيها دمٌ ،... فتحقّق الأمنُ البيئي بكامل عناصره ؛ في الإنسان والحيوان والنبات والجماد ،... والله تعالى أعلم .

٢ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم بتحبيبها لهم بأكثر من محبتهم لمكة :

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة عموماً ـ بكل ما فيها ـ : أن دعا الله تعالى أن يحببها لهم أكثر من محبتهم لمكة ، وهذا غاية المحبة والتكريم .

ذلك أن الإنسان جُبل على محبة البلد الذي وُلد ونشأ وترعرع فيه ـ كما سبق في المقدمة ـ فكونُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يدعو الله تعالى أن يحبِّب إليهم المدينةَ أكثر من محبتهم لمكة لهو المحبة المتناهية .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ وُعِكَ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما ،... الحديث وفي آخره ، فقال

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حرم المدينة .

صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كحبِّنا مكةَ أو أشد ، وصحِّحْها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ، وانقلْ حُمَّاها فاجعلها بالجحفة ». متفق عليه[1].

وقد ورد هذا الحديث بأطول ، وسيأتي ذكره بعد الفقرة التالية إن شاء الله تعالى ، كما ورد عن غيرها .

ففي هذا الحديث الشريف أربع دعوات للمدينة ، وقد استجاب الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في كل هذه الدعوات ، وهي :

ـ أن تكون أحبَّ إليهم من مكة .

ـ تصحيحها ، لأنها كانت أوبأَ أرض الله تعالى . وسيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

ـ المباركة في صاعها ومدها ، وسيأتي بيانه بعد قليل أيضاً .

ـ نقل حُمّاها إلى الجحفة ، وسيأتي بيانه بعد قليل أيضاً .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أو أشد » يعني ـ والله تعالى أعلم ـ بل أشد . يعني : أن يكون حبُّنا للمدينة أشد من حبنا لمكة . فهل يتبعه المسلمون في هذه الحالة ، فتكون المدينة أحبَّ إليهم من بلدانهم ؟ وهذا يقتضي واجبات كثيرة نحوها ، والله تعالى أعلم .

٣ – تغييره صلى الله عليه وآله وسلَّم اسمها من يثرب إلى المدينة وطيبة :

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ، أن غيَّرَ اسمها التي كانت تعرف به في الجاهلية ـ كما هي عادته صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٨٠).

وآله وسلَّم في تغيير الأسماء القبيحة ـ فقد كان يقال لها : يثرب ، وهذا الاسم لا يليق بها البتة ، خاصة بعد حلول النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها .

لأن يثرب مأخوذة من أحد أمرين :

أ ـ من الثرب ، ومعناه : الفساد .

ب ـ من التثريب ، ومعناه : التوبيخ والملامة ، وكلاهما مستقبح في حق المدينة بعد حلول الطَّيِّب صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، والله تعالى أعلم .

خاصة وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الذي سمّاها طيبة وطابة هو الله تعالى ، لذا غيرها إلى اسم جميل صارت تعرف به ، وهو المدينة ، ونهى صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يقال لها : يثرب . وأخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الذي يقول لها يثرب : إنما هم المنافقون .

والنصوص في بيان أسمائها الجديدة كثيرة أقتصر على ذكر بعضها :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون : يثرب ، وهي المدينة ». متفق عليه[1].

وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه ـ في قصة رجوعهم من غزوة تبوك ، وفي آخره ـ قال : فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذه طابة ، وهذا أُحُدٌ ، وهو جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب فضل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب المدينة طابة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب أُحُد جبل يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٣).

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ـ في قصة غزوة أُحد ، وفي آخره ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها طيبة ، تنفي الخبثَ ، كما تنفي النارُ خبثَ الفضة ». متفق عليه(١).

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ـ في قصة حديث الجساسة ، وفي آخره ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة ». رواه مسلم(٢).

وقد ذكرت في فضائل المدينة المنورة ومختصره أن الذي سماها طيبة وطابة إنما هو الله تعالى ، فانظرهما ، والحديث في صحيح مسلم وغيره .

وسُمِّيت طيبة وطابة لحلول الطَّيِّب صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، فطاب العيش فيها ، وطاب ساكنها .

ولهذا لا يجوز أن يقال لها : يثرب بعد حلوله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من سمّى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ، هي طابة ». رواه أحمد وأبو يعلى وابن شبة ، برجال ثقات ، كما قال الحافظ الهيثمي(٣).

والذي يقول لها يثرب إنما هم المنافقون ، كما مر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ...يقولون يثرب ،... » والقائل هم المنافقون .

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وكتاب فضائل المدينة : باب المدينة تنفي خبثها . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٩٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١١٩ – ١٢٢).

(٣) مسند أحمد (٤ : ٢٨٥) وتاريخ المدينة (١ : ١٦٤ – ١٦٥) ومسند أبي يعلى (٣ : ٢٤٧ – ٢٤٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥) وانظر مصنف عبد الرزاق (٩ : ٢٦٧ – ٢٦٨) وفضائل المدينة للجندي (٢٨).

وأما ما ورد في القرآن الكريم فهو حكاية عنهم أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ الآية [١].

فمن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها أن غيَّر هذا الاسم الذي لم يعد يليق بها ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ إسراعه صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا قدم من سفر ورأى جدراتها :

ومن مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ أنه إذا كان مسافراً ثم قَدِم نحوها فرآها أسرع من محبته لها ، فإن كان على راحلته أوضع لها ، وإن كان على الدابة حرَّكها ، من فرط محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا قدم من سفر ، فنظر إلى جُدُرات المدينة ؛ أَوْضَعَ راحلتَه ، وإن كان على دابَّةٍ حَرَّكها ، من حبِّها . رواه البخاري[٢].

فهذا من فرط حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم بتصحيحها :

ومن مظاهر محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة أنه دعا بتصحيحها ، لأن المدينة كانت أوبأ أرض الله تعالى ، لذا لما قدم الصحابة المهاجرون رضي الله تعالى عنهم أصابتهم الحمى ، فصاروا يهذون ، حتى دعا صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بالصحة ، فصارت أصح بقاء الأرض .

---

(١) سورة الأحزاب (١٢ – ١٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد ، وهو عقب باب المدينة تنفي الخبث .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، وُعك أبو بكر وبلال ، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول :

كل امرئ مُصَبَّحٌ في أهلِه   والموتُ أدنى مِن شِراكِ نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمّى يرفع عقيرتَه [يعني : صوته] يقول :

ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً   بِوادٍ وحولي إذخرٌ وجليل
وهل أَرِدَنْ يوماً مياهَ مجَنَّةٍ   وهل يبدُوَنْ لي شامةٌ وطفيل

وقال : اللهم العن شيبةَ بنَ ربيعةَ وعتبةَ بن ربيعةَ وأُميةَ بنَ خلف ، كما أخرجونا من أرضنا ، إلى أرض الوباء . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبنا مكة ، أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مُدِّها ، وصحِّحها لنا ، وانقل حُمّاها إلى الجحفة ».

قالت : وقدمنا المدينة ، وهي أوبأُ أرض الله ، قالت : فكان بطحان يجري نجلاً . تعني ماءاً آجناً . هذا لفظ البخاري[1] وسبق ذكره مختصراً .

لذا صارت أصح بقاء الأرض ، خاصة وقد مُنع دخول الطاعون والوباء إليها ، إضافة إلى خروج الحُمّى منها ، فتحقَّق لها الأمنُ الصحّي والأمن البيئي - كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى - وكما أوضحته في الفضائل ومختصرها ، وفي رسالة خاصة بذلك ، ولله الحمد والمنة .

٦ - دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم بنقل الحمى منها :

ومن مظاهر محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة :

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب (١٢) حدثنا مسدد . وقد رواه مسلم مختصراً ، وسبق العزو إليه .

أن دعا لها بنقل الحمى ـ القاتلة ـ منها إلى الجحفة ـ وتخصيص الجحفة لأن أهلها كانوا من اليهود ـ وقد استجاب الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنقلها منها ، ولم تعد إليها ـ ولله الحمد والمنة ـ وإن كان قد رضي صلى الله عليه وآله وسلَّم بدخول الحمى غير القاتلة إلى المدينة فيما بعد ، لتكون ممحصة لذنوب من يصاب بها ، كما أوضحته في الفضائل .

فقد مر قبل قليل حديثُ السيدة عائشة رضي الله عنها ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...وانقل حمّاها إلى الجحفة ». متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ـ في رؤيا النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « رأيتُ امرأة سوداء ، ثائرةَ الرأس ، خرجت من المدينة ، حتى نزلت بمهيعة ، فتأوَّلتُها أن وباء المدينة نُقل إلى مهيعة ». رواه البخاري[1].

ومهيعة : هي الجُحْفة .

وبناء على دعوات النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة تحقق فيها الأمن الصحّي والبيئي بكل معانيه ، حيث الأمن في الإنسان والحيوان والنبات والهواء والتراب والماء ، كما أوضحته في الرسالة المذكورة ، ولله الحمد والمنة ، والله تعالى أعلم .

٧ ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم بالبركة فيها وفي أرزاقها ومكيالها :

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة : دعاؤه بالبركة فيها ، وفي صاعها ومدها وثمرها وأرزاقها ، بل بالبركة فيها نفسها ، وقد

(١) صحيح البخاري : كتاب التعبير : باب المرأة السوداء ، وفي غيرهما .

تواترت الأحاديث في ذلك ، لكني أقتصر على ذكر بعضها للتقريب والتنبيه .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اللهم بارك لهم في مكيالهم ، وبارك لهم في صاعهم ، وبارك لهم في مدهم ». متفق عليه(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه - في قصة بني لحيان - والذي فيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مُدِّنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدنا ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ،... ». الحديث ، رواه مسلم(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان الناس إذا رأوا أولَ الثَّمَر ؛ جاؤوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اللهم بارك لنا في ثَمَرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدِّنا ،... ». رواه مسلم(٣).

فحصلت البركة في الأرزاق والثمار ، بل في المدينة كلِّها « وبارك لنا في مدينتنا ». بما تحويه هذه الكلمةُ (البركة) من معان متعددة ، والله تعالى أعلم .

بل دعا صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بأن تكون البركة فيها أضعاف ما في مكة . كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ومده . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، رقم (٤٧٥ ، ٤٧٦).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٣ - ٤٧٤).

٨ ـ دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بأضعاف دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة :

ومن مظاهر محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ أن دعا لها بأضعاف ما دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة ، وهذا غاية التكريم للمدينة ، الناشئ عن الحب لها ، وإلا كيف يدعو لها بأضعاف ما في بلده الذي وُلد ونشأ وترعرع فيه ! ولكن يزول العجب إذا عرفنا أن هذه البلدة هي بلده الأصلي ، كما سيأتي قُبيل الخاتمة إن شاء الله تعالى .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيْ ما بمكة من البركة ». متفق عليه[١].

وعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن إبراهيم حرَّم مكةَ ، ودعا لأهلها ، وإني حرَّمتُ المدينةَ كما حرَّم إبراهيم مكةَ ، وإني دعوت في صاعها ومُدِّها بِمِثْلَيْ ما دعا به إبراهيم لأهل مكة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[٢].

فإذا كان في حديث أنس رضي الله تعالى عنه مضاعفة البركة عما في مكة ، فإن في حديث عبد الله بن زيد رضي تعالى عنه مضاعفة ما وقع من دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة ، فيشمل البركة وغيرها ، وكل ذلك من فرط محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ، والله تعالى أعلم .

وأما المضاعفة فوق ذلك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان الناس إذا رأوا أولَ الثَّمَر جاءوا به

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد ، وهو عقب باب : المدينة تنفي الخبث . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... رقم (٤٦٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : الباب السابق . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥٤ - ٤٥٥).

إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ الحديث بطوله وقد مر ذكر أوله وفي آخره ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...اللهم إن إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيُّك ، وأنا عبدُك ونبيُّك ، وإنه دعاك لمكة ، وإني أدعوك للمدينة بِمثل ما دعاك لمكة ، ومثلِه معه ». لفظ مسلم[1].

وهذا صريح بمضاعفة ما وقع من دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة .

وأما مضاعفة البركة أضعاف ما كان لأهل مكة ، فيوضحه ما يلي :

لقد مر قبل قليل حديثُ أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...اللهم اجعل مع البركة بركتين ». رواه مسلم .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى إذا كنا بِحَرَّة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ائتوني بوَضوء » ثم قام فاستقبل القبلةَ ، ثم قال : « اللهم إن إبراهيم كان عبدَك وخليلَك ، ودعا لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدُك ورسولُك ، أدعوك لأهل المدينة ؛ أن تباركَ لهم في مُدِّهم وصاعهم مِثْلَيْ ما باركت لأهل مكة ، واجعل مع البركة بركتين ». رواه أحمد ، والترمذي وابن خزيمة وابن حبان وصححوه ، والنسائي في الكبرى ، والطبراني برجال الصحيح[2].

وقد ورد بنحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٣).

(٢) مسند أحمد (١ : ١٥١) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩٢٤) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب مكيال أهل المدينة (٢ : ٤٨٤) وصحيح ابن خزيمة (١ : ١٠٥ – ١٠٦) وفيه سقط ، وصحيح ابن حبان (٩ : ٦١ – ٦٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥) وتحفة الأشراف (٧ : ٣٩٠ – ٣٩١).

فهذا النص صريح في المضاعفة ، حيث طلب صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تكون المباركة ضعفَي ما في مكة ، ومع كل ضعف بركتين أيضاً ، وهذا ملاحظ حتى يومنا هذا .

وهذا غاية المحبة والتكريم ، أن يدعو صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بالمضاعفة عن بلده الذي وُلد وعاش ونشأ وترعرع فيه ، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله تعالى أعلم .

فتكون البركةُ في المدينة عدةَ أضعاف عما هي عليه في مكة ، وكل ذلك ببركة دعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، الناشئة عن محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذه البلدة المنورة المباركة ، أسأله تعالى أن يكرمنا فيها ، بما أكرم به عباده الصالحين .

٩ ـ حثه صلى الله عليه وآله وسلَّم على سكناها ، وعلى عدم الخروج منها :

ومن فرط محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذه البلدة المنورة المباركة حثه على سكناها ، وعلى عدم الخروج منها ـ ولو ضاقت على الساكن الحياة ـ لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يشفع لمن صبر على لأوائها ، وأنها تنفي ذنوب ساكنيها ، كما يشفع لمن مات فيها ، وحذر الخارج منها ـ رغبة عنها ـ بأن الله تعالى يبدلها خيراً منه ، ويخشى عليه أن يكون من الخبث ، والعياذ بالله تعالى .

فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يُفتح اليمن فيأتي قوم يَبسّون ، فيتحمّلون بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يُفتح الشام فيأتي قوم يَبسّون ، فيتحمّلون بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يُفتح العراق فيأتي قوم يَبسّون بأهليهم ومَن أطاعهم ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ». متفق عليه[١].

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يأتي على الناس زمانٌ يدعو الرجلُ ابنَ عمه وقريبَه ؛ هلمَّ إلى الرخاء ، هلمَّ إلى الرخاء ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ،... ». رواه مسلم[1].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فبقاؤهم في المدينة خيرٌ لهم من الانتقال إلى غيرها ، وإن كانت البلادُ الأخرى أكثرَ ريفاً ورزقاً ، لأن ما يكسبه الساكن فيها لا يقابله أو يدانيه ما يلاقيه في تلك البلاد .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها مَن هو خير منه ،... ». رواه مسلم[2].

ورواه[3] بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

فمن خرج عنها رغبةً عنها فيخشى عليه أن يكون من الخبث الذي تنفيه المدينة ، كما أنه قد فوَّت على نفسه كثيراً من الخيرات ، وهو لا يعلم ، لذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لو كانوا يعلمون ».

ومن تلك الخيرات التي يُحرمها من يخرج من المدينة : ما أكرم به أهلُ المدينة من شهادة وشفاعة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن نفي الذنوب ،...إلخ.

= الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، رقم (٤٩٦ – ٤٩٧).

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٩).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٧) لأنه جزء منه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـ وقد جاءته مولاته تستأذنه في الخروج من المدينة بسبب ضيق العيش ـ قال : اقعدي لَكَاع ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ ؛ إلا كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ». رواه مسلم(١).

وقد رواه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم ، كما ورد عن عدد كبير غيرهم .

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ـ في قصة رجوع بعض الناس يوم أحد ـ وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها طيبةٌ ، تنفي الذنوبَ ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الفضة ». رواه البخاري(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه الترمذي وابنُ حبان والإشبيلي ، ورواه آخرون(٣).

وعن الصُّمَيتة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها ، فإنه من

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنى المدينة ، وباب فضل المدينة ، رقم (٤٥٩ ، ٤٧٧ ، ٤٨١ - ٤٨٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وأصل الحديث متفق عليه .

(٣) مسند أحمد (٢ : ٧٤ ، ١٠٤) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩١٧) والسنن الكبرى (١ : ٦٠٣) (٢ : ٤٨٨) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب فضل المدينة ، رقم (٣١١٢) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٧) وشعب الإيمان (٨ : ١١٥ - ١١٧) وشرح السنة (٧ : ٣٢٤) والأحكام الوسطى (٢ : ٣٤١) وتحفة الأشراف (٦ : ٧٥).

يمت بها نشفع له ونشهد له ». رواه النسائي في الكبرى وابنُ حبان والطبراني في الكبير وابنُ جُميع والبيهقي ، وقد ورد من حديث سُبيعة الأسلمية وغيرهما أيضاً[1].

أسأله تعالى أن يرزقنا فيها الرزق الحسن ، ويجعل مثوانا الأخير فيها من غير ابتلاء ولا محنة ، والحشر منها ، مع أهلها ، إنه جواد كريم .

إِلَهي نَجِّني مِنْ كُلِّ ضِيق — فَأَنْتَ إِلَهُنا مَولى الجميع
وَهَبْ لِي في المدينة مستقراً — ورزقاً ثم دفناً في البقيع

١٠ ـ كراهيته صلى الله عليه وآله وسلَّم الموت في غيرها :

ومن شدة محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة ؛ أن كره الموتَ في مكة ، مع أنها بلدُه الذي وُلد وترعرع ونشأ فيه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل مكة قال : « اللهم لا تجعل منايانا بها حتى تخرجنا منها ». رواه أحمد والطبراني والبزار والبيهقي برجال الصحيح[2].

وقد نبه صلى الله عليه وآله وسلَّم الأنصار رضي الله تعالى عنهم يوم الفتح ، أن حياته صلى الله عليه وآله وسلَّم حياتهم ، ومماته صلى الله عليه وآله وسلَّم مماتهم ، وفي ذلك إشارة ـ والله تعالى أعلم ـ أنه لن يموت إلا في المدينة . كما سيأتي

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٢ : ٤٨٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٨) وموارد الظمآن (رقم ١٠٣٢) والمعجم الكبير (٢٤ : ٣٣١) والآحاد والمثاني (٦ : ١٥٤) ومعرفة الصحابة (٦ : ٣٣٨١ – ٣٣٨٢) وشعب الإيمان (٨ : ١١٣ ، ١١٢) ومعجم الشيوخ (٣٥٣) وتحفة الأشراف (١١ : ٣٤٥ – ٣٤٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦) وكنز العمال (١٢ : ٢٥٤) انظر : فضائل المدينة المنورة ، ومختصره ، لبيان بقية الروايات ، والعزو .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٥ ، ١٢٥) ونسخة أحمد شاكر (٧ : ٩) (٨ : ٢٢٣) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٥) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٥٦) والسنن الكبرى (٩ : ١٩) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٥٣).

في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

١١ ـ حرصه صلى الله عليه وآله وسلَّم على البقاء فيها :

ومن فرط محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وأهلها ؛ حرصه الشديد على البقاء فيها ، والحياة فيها ، وعدم الخروج منها ، وعلى الموت فيها .

وقد سبق ذكرُ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...والمحيا محياكم ، والممات مماتكم ». رواه مسلم .

كما قال صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله تعالى عنهم ـ بعد تقسيم الغنائم يوم حنين وما ورد من قولهم ـ : « يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن يرجع الناسُ بالشاة والبعير [بالدنيا ، بالأموال] وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » قالوا : بلى يا رسول الله ؛ قد رضينا . كما في حديثي أنس وعبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنهما ، المتفق عليهما[1].

بل أصرح ما يدل على اطلاع الله تعالى له صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه سيموت في المدينة قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ».

وقد جاء هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد وأبي سعيد وابن عمر وسعد وعلي وجابر وأم سلمة في آخرين رضي الله تعالى عنهم ، وأغلبها برجال ثقات ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان ، وكتاب فرض الخمس : باب ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس وغيره . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٢ – ١٣٥ ، ١٣٩).

وأسانيد صحيحة ، سوى حديث علي وجابر رضي الله عنهما ، ففيهما ضعف ، لكن يشهد لهما ما قبلهما[1]

وقد عنون الإمام البخاري رحمه الله تعالى على حديثي عبد الله بن زيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، والذي بلفظ « ما بين بيتي ومنبري » بلفظ : (باب فضل ما بين القبر والمنبر)[2] إشارة إلى هذا الحديث ، لكنه رحمه الله تعالى لم يخرجه في صحيحه ؛ لأنه ليس على شرطه ، مع صحته ، وقد أفردتُ له رسالةً مستقلةً خاصة به .

ولا تعارض بين الروايتين « ما بين بيتي » وَ « ما بين قبري » ـ والله تعالى أعلم ـ لأن بيته صلى الله عليه وآله وسلَّم هو بيت السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهو الذي صار موضعَ قبره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيكون الله تعالى قد أطلعه أن بيتَه ـ وهو بيت عائشة رضي الله تعالى عنها ـ سيكون موضعَ قبره ، فيكون قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بيتي » قاله باعتبار الحال ، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قبري » فيحمل على أنه قاله باعتبار المآل ، والله تعالى أعلم[3].

وكل ذلك فيه إشارة إلى بقائه صلى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة ، وأنه سيموت فيها ، وأن الله تعالى أطلعه على ذلك ، وقد رَشَحَ عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم عدد من النصوص بنحو ذلك ، ذكرتها في فضائل المدينة المنورة .

---

(١) انظر : مسند أحمد (٣ : ٦٤) وشرح مشكل الآثار (٧ : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ – ٣١٩) وتاريخ بغداد (٤ : ٤٠٣) (١١ : ٢٢٨ ، ٢٩٠) (١٢ : ١٦٠) والمعجم الأوسط (١ : ٣٦٠ ، ٤١٢) وكشف الأستار (٢ : ٥٦) ومجمع الزوائد (٤ : ٦ ، ٩) وفتح الباري (٤ : ١٠٠) وعمدة القاري (١٠ : ٢٤٩) وجامع الأحاديث (٥ : ٦٤٢) وكنز العمال (١٢ : ٢٦١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل ما بين القبر والمنبر .

(٣) انظر شرح مشكل الآثار (٧ : ٣٢٣ – ٣٢٤) حيث أطال في الاستدلال ، وفتح الباري ، في الموضعين .

لذا رجع الناس بالمال ، بالغَنَم ، بالأموال ، بالدنيا... ـ وكل ذلك مغنم زائل محدود ، وفيه وبال إن لم يحسن فيه صاحبه ـ ورجع الأنصار ـ ومعهم إخوانهم المهاجرون رضي الله تعالى عنهم ـ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيوتهم بالمدينة ، ففازوا بالقرب الدائم ، والفوز المقيم ، والغنيمة التي لا تقدَّر ، والسعادة التي لا تعوَّض ، والنعيم الذي لا يفوت ،...

وما دروا أنها موطن تربته التي منها خُلق ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم صائر إليها .

فاتضح أن تربته صلى الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه الكريمين رضي الله عنهما من تربتها ، لذا كانت مضجعَهم مدىٰ الدهر ، لأنها أصلهم ، فرجعوا إليها ، كما أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1] لذا ضمَّته صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في نهاية المطاف ـ أقدسُ بُقعةٍ في الوجودِ عندهم . حيث منحهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم جسده الشريف بل كل شيء حيث قُبر عندهم .

ففضلت بذلك على سائر الأرض وما عليها ، وشمخت بذلك على سائر المدن وما فيها ، وإن بقيتْ متواضعةً رحيمةً ، فنالوا بذلك الشرفَ من أعلاه ، والمنزلةَ الرفيعةَ من قمتها ، والمكانةَ السامية من فوقها ، فنالوا خيرَيْ الدنيا والآخرة ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

فهل بعد هذا الحب من حب ؟ وهل بعد هذا الحرص من حرص ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل بعد هذا الإكرام من إكرام ؟ وهل بعد هذه الكرامة

---

(١) سورة طه (٥٥).

من كرامة ؟ وهل بعد هذا الإيثار من إيثار ؟ وهل بعد هذا العطاء من عطاء ؟ لا ، ثم لا ، إنما هو القَدَرُ الرباني ، الذي خص الله تعالى به الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأهلَ المدينة من بعدهم بهذا الفضل دون غيرهم ، ذلك لأن تربته صلى الله عليه وآله وسلَّم من هذه البقعة الشريفة المباركة ، فتم قضاء الله تعالى ما كان قد أبرزه قَدَرُه عز وجل ، حسب علمه تعالى ، والله تعالى أعلم .



لمَ هذا الحبّ من الطّرفين ؟

لقد أحب أهلُ المدينة ـ من مهاجرين وأنصار رضي الله عنهم ـ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حبّاً لا يُدانىٰ ؛ فعظَّموه ووقَّروه وأكرموه ومنحوه ،... وأنزلوه في قلوبهم قبل أن يُنزلوه في ديارهم ، وبذلوا له صلى الله عليه وآله وسلَّم أرواحهم قبل أن يبذلوا له أموالهم ، وقدَّموا له صلى الله عليه وآله وسلَّم نفوسهم ودماءَهم قبل أن يُقدِّموا له دنياهم ، وأظلوه صلى الله عليه وآله وسلَّم بحشاشاتهم ، قبل أن يُظلوه في حيطانهم وجنانهم ، وفدوه صلى الله عليه وآله وسلَّم بمهجهم رخيصةً بين يديه قبل أن يفدوه بعدتهم وعتادهم ، فحرسوه صلى الله عليه وآله وسلَّم بعيونهم ، ورمقوه بقلوبهم ، وفدَوه بأرواحهم ، وقدّموا له أغلى ما عندهم ،...

وامتثلوا أمره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتسارعوا إلى تحقيق رغبته وتنفيذ إشارته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكانوا سيفَه المصلت ، الذي يخطف أرواح أعدائه ، وحاجزَه الحديدي أمام مخاصميه ومناوئيه ، والساترَ المنيع أمام من يريد به كيداً ، حتى لو كان أقرب المقربين إلى أحدهم ،... فما عُرف حبٌّ ولا شوقٌ ولا سرورٌ ولا حنينٌ ، ولا ، ولا ، ما صدر عنهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، فَلِم ذلك يا ترى ؟؟؟

وبالمقابل فقد آثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أهلَ المدينة على غيرهم ، وخصَّهم دون من سواهم ، وأكرمهم دون من عداهم ، ومنحهم بما لم يعط أحداً من الخلق ، وأعطاهم فوق ما أمّلوا ، وقدَّمهم على من عداهم ،... وقابل الأريحيةَ

منهم بأجمل منها ، والتحيةَ بأحسنَ منها ، والمحبةَ بأَشَدَّ منها ، والحرصَ بأقوى منه ، والفداءَ بأكرم منه ، والإحسان بأعلى منه ، والوفاءَ بأغلى منه ، والعطاءَ بأعلى منه ،... فلم ذلك يا تُرى ؟

لقد أحبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم نساءَهم وأطفالهم وذراريهم ، وأحب مدينتهم وجبالهم ووواديهم ، وأحب بساتينهم وشجرهم ونباتهم ،... بل أحب كلَّ شيء عندهم ، فَلِمَ ذلك يا ترى ؟؟؟

ـ محبة المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

هناك عاملان أو أمران ، ظاهري ، ومخفي :

أما الأمر الظاهري :

هناك عوامل كثيرة جدّاً لا يمكن أن يستوعبها هذا المختصر ، ولا أكبر منه ، كلها داعية إلى محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، سواء من الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، أو ممن حل ديارهم من بعدهم ، لكنني أشير إلى بعض القضايا للتقريب والتيسير .

١ـ الأمر بمحبته صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ حتى يكون أحبَّ إلى المسلم من نفسه ووالده وولده وزوجه وأهله وعشيرته والناس أجمعين ، ومن الدنيا والمال والتجارة ، بل جاء التهديد من الله تعالى لمن يقدِّم محبةَ جميع المخلوقات مهما ارتفعت وغلت على محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فقال الله جل شأنه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] وسبق ذكر الأحاديث .

٢ ـ الأمر من الله تعالى بتوقيره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والتوقير أعلى من المحبة ، كما بينت ذلك في (محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجماد).

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2].

فقوله تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما وغير واحد : تعظِّموه ، وفي رواية : تجلّوه ، وقال المبرد : تبالغوا في تعظيمه .

وقوله عز وجل : ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ من التوقير ، وهو الاحترام والإجلال والتعظيم .

وقال قتادة رحمه الله تعالى : أمر الله بتسويده وتفخيمه وتشريفه وتعظيمه .

وقال الحَلِيمي رحمه الله تعالى : هذه منزلة فوق المحبة ، لأنه ليس كل محب معظِّماً ،...إلخ. وانظر محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لمعرفة بقية كلامه رحمه الله تعالى .

فحقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في أمته ـ أن يكون معزَّزاً موقَّراً مهيباً ، ولا يعامَل بالاسترسال والمباسطة ، كما يعامِل الأكفاء بعضُهم بعضاً ،... فمتى يعي المسلمون ذلك ؟

٣ ـ لقد أمر الله تعالى باتباع رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والمتابعة تقتضي تعظيم التابع للمتبوع ، لأنه ناشئ عن المحبة ، ذلك أن الاتباع : هو المبالغة

(١) سورة التوبة (٢٤).

(٢) سورة الفتح (٨ – ٩).

في القفو ، ألا ترى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو دخلوا في جُحْر ضبٍّ لاتبعتموهم ». متفق عليه[1].

فمن شدة الاتباع أن لو جمع اليهوديُّ أو النصرانيُّ نفسَه وضمَّها على بعضها حتى تمكن من الدخول في جحر الضب الضيق المتعرج ، لفعل المسلمون المتأخرون ذلك ، من شدة اتباعهم لمن سبق .

والاتباع يقتضي المحبة ، ألا ترى أن الله جل شأنه جعل اتباع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مكنوفاً بين المحبتين ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2].

والاتباع غير الطاعة ، إذ بينهما عموم وخصوص ، فكل اتباع طاعة وليس كل طاعة اتباعاً ، ذلك أن الاتباع ناشئ عن المحبة ، بينما الطاعة مرتبطة بالأمر والنهي ، لهذا كثرت الآيات في الطاعة ، ولم يرد في الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا ثلاث . واحدة في الأمر ، والثانية في الإخبار ، والثالثة في الطلب . كما بينته في محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فانظره .

٤ ـ لقد جاء النهي من الله تعالى عن تقديم هوىٰ النفس ورغباتها على هوىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ورغباته ، وعليهم أن يفدوه بأنفسهم ، وأن يتحملوا المشاق دونه ،...

قال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[3]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، رقم (٦).

(٢) سورة آل عمران (٣١).

(٣) سورة التوبة (١٢٠).

فإذا كان الله تعالى يخاطب أهلَ المدينة بألا يرغبوا بأنفسهم عن نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بل عليهم أن يفدوه ، ولا يتركوه يتحمل المشاق وحده ، وعليهم أن يقدِّموا أنفسهم دون نفسه ، فما يدل ذلك ؟

بل إذا كان الله تعالى يسارع في هوىٰ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكيف يفعل ساكن المدينة ؟

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كنت أغار على الآتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأقول : وتهبُ المرأةُ نفسها ؟ فلما أنزل الله عز وجل ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾[1] قالت قلت : ما أرى ربَّك إلا يسارع لك في هواك . متفق عليه[2].

أي يسارع في رضاك ، ويُوجِد لك ما تريد ـ كما تحب ـ بلا تأخير ، ويُنزِل لك ما تحب وتختار ، وما صدر عنها رضي الله تعالى عنها إنما حملها عليه الغيرة ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لا ينطق عن الهوىٰ ، ولا يفعل بالهوىٰ ، والغيرة بابها معروف .

فإذا كان الله تعالى يسارع له صلى الله عليه وآله وسلَّم في رضاه وهواه ، فكيف يكون المسلم المحب ، المجاور له صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

٥ ـ لقد امتن الله تعالى على جميع الخلق بمنتين من نعمه ، مع أن نعمه تعالى لا تعد ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾ ومع هذا لم يمتن تعالى علينا إلا باثنتين .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ

(١) سورة الأحزاب (٥١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب ﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ، رقم (٤٩ – ٥٠).

عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

فإحسان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على الأنصار رضي الله تعالى عنهم لا يقدّر .

لقد كانوا ضُلّالاً فهداهم الله تعالى به ، وكانوا متفرقين فجمعهم الله تعالى به ، وكانوا أعداء فألف الله تعالى به بين قلوبهم ، وكانوا عالة فأغناهم الله تعالى به ،... وهذا ما ذكَّرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم[3].

إن ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لِما قام به الأنصار رضي الله تعالى عنهم لا يعادل مكرمةً من تلك المكارم التي ذكَّرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بها ، وكذا غيرها مما لم يذكره ، ولهذا كلما قال صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم شيئاً قالوا : الله ورسوله أَمَن . اعترافاً منهم بجميل فضله صلى الله عليه وآله وسلَّم عليهم .

فإذا كانت المنة من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم على أهل المدينة فكيف يقابلونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ وقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها .

---

(١) سورة الحجرات (١٧).

(٢) سورة آل عمران (١٦٤).

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩).

٦ ـ لقد كان الأنصار رضي الله عنهم يقال لهم قبل إسلامهم : بنو قيلة ، فصار يقال لهم : الأنصار ، أنصار الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، جند الله تعالى ، كما صارت الهجرة إليهم ـ وهذا ما قاله لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هاجرتُ إلى الله وإليكم ». رواه مسلم ، وقد سبق ذكره من قبل ، ويبايع الناس بالهجرة إليهم ، ولا يبايعون هم عليها « يا معشر الأنصار ، إن الناس يهاجرون إليكم ، ولا تهاجرون إليهم ،... »[1].

وبسبب مَنْ نالوا تلك المكارم ؟ أليس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

ثم ما أكرموا به مِن المكارم التي لا تقدّر بثمن ، ألم يجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم آية الإيمان حبَّهم ، وآية النفاق بغضهم ؟ وأن من أحبهم أحبه الله تعالى ، وأنهم موالي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنه ليس لهم مولى إلا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنهم أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولولا الهجرة لكان صلى الله عليه وآله وسلَّم واحداً منهم ، وهم موضع سرِّه وأمانته ، وأن المحيا محياهم والممات مماتهم ،... وَ وَ وَ ،...إلخ ما ذكرته من فضائلهم في الكتاب المذكور ، فبِمَن نالوا ذلك ؟ أليس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فكيف يعاملونه ، ويحبونه ويفدونه ويعشقونه ، وَ وَ وَ ،... وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أهلٌ لكل ذلك ، بل أزيد .

٧ ـ ما جزاء مَن يُحبُّ إلا يُحَب ، وإذا كان الحب من الأعلى إلى الأدنى كان

---

(١) انظر حديثَ الحارث بن زياد الساعدي رضي الله تعالى عنه (فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ٣٠٠ – ٣٠١).

غاية الكمال ، إذ لا يُتهم المحب ، فكيف إذا كان المحبُّ هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، وأحب نساءهم وأولادهم ومواليهم وكل ما يتصل بهم ، وأقسم لهم على ذلك ، وهو ليس بحاجة إلى قسم ، وقد عرفوا ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فكيف يقابلونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ المفروض أن يكون ـ على الأقل ـ بحب يقابل ذلك الحب ، فكيف وحبُّه صلى الله عليه وآله وسلَّم عليهم واجب ، وهو سِمَة الإيمان ، وقد أُمروا أن يحبوه صلى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من أنفسهم وما يلوذ بهم ؟

لذا أحب الأنصار رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهاموا به ، ولكن الله تعالى هو الحافظ ، كما سبق بيانه .

٨ ـ لقد جعل الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم رحمةً للعالمين ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

كما جعله تعالى بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، كما جعله تعالى حريصاً عليهم أكثر من حرصهم على أنفسهم ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

فإذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم بهذه الدرجة من رحمته ورأفته وحرصه بهم وعليهم فكيف يقابل ؟ وكيف يُحب ؟ وكيف يعامل ؟ لا شك فإن العاقل يدرك ذلك جيداً ، وأن مهما قدَّم وما تصرف تجاه تلكم الشخصية ـ وكيف إذا كانت هي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فإنه قليل جدّاً لما نالوه منه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٩ ـ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم هو أهل الوفاء والعطاء والإحسان ،... وكل ذلك يؤخذ منه وعنه ، وما قدّم الأنصار رضي الله تعالى عنهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وللمؤمنين المهاجرين رضي الله عنهم يستحقون عليه الثناء والوفاء ، وقد نالوا من ذلك الكثير ، مما هو أكبر مما قدَّموا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الذي أكرمه الله جل شأنه بالاعتراف لصاحب الفضل بالفضل ؛ بقي يذكر فضل الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، وطلب من المسلمين أن يعرفوا فضلَهم ومنزلتهم .

إن الذي قدَّمه الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يستطيع غيرهم من القبائل تقديمه ، من إيواء ونصرة وفداء ،... ولكن الذي قدَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لا يستطيع أحد أن يقدمه لهم ، لأنه فوق طاقة البشر ، إنما هو نعمة من الله تعالى ، ومع هذا بقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يذكر فضلهم ، لتكون المنة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

أما ترى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن أبي بكر رضي الله عنه : « إن أَمَنَّ الناس عَلَيَّ في صحبته وماله : أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُه ،... ». الحديث ، متفق عليه .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما لأحد عندنا يدٌ إلا كافأناه ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يُكافئه الله بها يوم القيامة ،... » وأين ما قدمه أبو بكر رضي الله تعالى عنه مع ما قدمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

وهكذا فعل صلى الله عليه وآله وسلَّم مع الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، حيث

قال عنهم : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعيبتي ، وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ،... ». الحديث ، متفق عليه[1].

وأين ما قدموه رضي الله تعالى عنهم بالنسبة لما قدَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم ، ولكنه الوفاء ، فكيف يعاملونه صلى الله عليه وآله وسلَّم ويحبونه ؟ والله تعالى أعلم .

١٠ ـ وفوق كل ما مر ، فإن الله جل شأنه جَبَلَ نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على صفات الجمال والكمال ، ومما أكرمه تعالى به أن جعل فيه خاصية الانجذاب إليه ، فمن خالطه صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبَّه ، فكيف وقد حوىٰ الصفات العالية التي لا يقاربه فيها أحد ، والتي تجعل الإنسان السويَّ يحب من اتصف بها ، لذا فإن الأنصار رضي الله تعالى عنهم لما خالطوه صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبوه ـ إضافة إلى الأمر به ـ وكلما ازدادت مخالطتهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم زادت محبتهم ، حتى لم يعودوا يطيقون بُعده صلى الله عليه وآله وسلَّم عنهم ، كما مر .

وهناك أمور كثيرة مدعاة لمحبة أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لكن حسبي ما ذكرت ، للتنبيه والتقريب ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

وأما الأمر الخفي :

هناك أمر آخر جعل المدينةَ المنورةَ ـ بكل من وما فيها ؛ من إنسان وحيوان ونبات وجماد ـ يحبون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم . وقد عُرف هذا فيما بعد .

---

(١) انظر محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، لمعرفة هذه الأحاديث .

إن الإنسان لا يدفن إلا في موضع تربته التي منها خُلق ، فعندما أراد الله تعالى جمع تربة آدم عليه السلام ، وأمر المَلَكَ بجمعها ، كانت كل ذرة من تلك التربة تمثل واحداً من ذرية آدم عليه السلام ، ولا يُدفن كل واحد من تلك الذرية ـ على مدىٰ الدهر ـ إلا في موضع تلك الذرة من الأرض .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بجنازةٍ عند قبر ، فقال : « قبرُ من هذا ؟ » فقالوا : فلانٌ الحبشي يا رسول الله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا إلٰه إلا الله ، لا إلٰه إلا الله ، سيق من أرضه وسمائه إلى تربته التي منها خُلق ». رواه البزار ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، وقال : له شواهد صحيحة [1].

فتكون المدينة قد أحبت أصلَها ، ونقطةَ وجودها ، وعينَ حياتها ، أما سمعت قول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى[2] : ومحمدٌ صلى الله عليه وآله وسلَّم إنسان هذا العين ، وقطب هذه الرحى ، وأقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات ،...إلخ.

فهو صلى الله عليه وآله وسلَّم سيّدُها ، بل سيد الخلق جميعاً ، وهو أفضلُها ، بل أفضلُ المخلوقات جميعاً ، وهو أكرمُها ، بل أكرم المخلوقات جميعاً ، وهو قطبها بل قطب رحاها ،... فإذا أحبته صلى الله عليه وآله وسلَّم تكون قد أحبت سيدَها ،

---

(١) المستدرك (١ : ٣٦٧) وانظره وتلخيصَه لبيان الشواهد ، وكشف الأستار (١ : ٣٩٦) ومختصر زوائد مسند البزار (١ : ٣٦١ رقم ٥٩١) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٢) وقوله عن رواية البزار : فيه عبد الله والد علي ابن المديني ، وهو ضعيف . لا يضر ، لأن الحاكم رواه من طريق الدراوردي ، وهو ثقة ، وقد تابعه ، فارتفع الإشكال .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ : ٩٨ ، وانظر فيه (١١ : ٩٤ – ٩٨).

وأفضلَها ، وقطبَ رحاها ، وعينَ وجودِها ،... لذا فإنها لا تُلام على ذلك ، والله تعالى أعلم .

ـ محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة :

أما محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وأهلها فللمقابلة ؛ أحبهم كما أحبوه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفداهم كما فدوه ، ومنحهم كما منحوه ، وأكرمهم كما أكرموه ، وأحسن إليهم كما أحسنوا ، وأعطاهم كما أعطوا ،... وأذكر بعض العوامل للتقريب ، لا على سبيل الاستيعاب .

١ ـ إنهم رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل لم يترددوا بإسلامهم ، يوم عَرَض عليهم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم دعوته يوم العقبة الأولى فالثانية فالثالثة ، فبايعوا ، وصدقوا باستقبالهم ، مع امتناع أو تردد كثير من القبائل ،... فاستحقوا بذلك الحبَّ والتقدير ،...

٢ ـ إنهم قدّموا الكثير الكثير من مالٍ وإيواء وبيوت وشهداء ،... ولم يُعرف لقبيلة ما قدَّم الأنصار رضي الله تعالى عنهم ، فاستحقوا الحبَّ والتقدير والتبجيل ، مقابل ما قدموا ، مع استئثار غيرهم بالدنيا « ...أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير [بالدنيا ، بالأموال] وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ ». متفق عليه ، وسبق ذكره .

٣ ـ إنهم صدقوا فيما عاقدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه يوم العقبة ، ونفَّذوا ما اتفقوا عليه ، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عنهم ، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أوصيكم بالأنصار ،... وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ،... » لذا استحقوا الحب والتقدير والتكريم والفداء والشكر والإحسان ،...

٤ ـ إنهم رضي الله تعالى عنهم فتحوا صدورهم وقلوبهم قبل بيوتهم ، بصدر واسع ، ونية خالصة ، ووفاء عميم ، ومحبة صادقة ، وفتحوا بيوتهم لإخوانهم المهاجرين من كل مكان ، بأريحية ومحبة ،... فكانوا أخوة متحابين ، وآثروهم على حياتهم ، وناصفوهم المال والشجر ، حتى طلب بعضهم النزولَ عن إحدى زوجتيه ، والمشاطرةَ في ماله ، وإن قابله المهاجريُّ بأريحية مثلها ، فلم يُرزئه بشيء من ذلك ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾[1] .

وهذه شهادة من الله تعالى لا تقابلها شهادة ، وثناءٌ منه جل شأنه لا يقابله ثناء ، فصار غرةً في جبين الإنسانية ، لمن يقتدي بهم حتى كادوا أن يذهبوا بالأجر كله ، فاستحقوا الحب والوفاء ، ومَن أولىٰ مِن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو المعروف بالوفاء والوداد : أن يؤدي ذلك لهم ؟

٥ ـ إنهم صدقوا في محبتهم وإخلاصهم ، وصدقوا مع ربهم تعالى كما صدقوا في دينهم ، وصدقوا مع نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلم يرجع منهم أحد ، ولم يرتد منهم أحد ، فحملوا راية الإسلام ، كما كانوا غاية الحرص عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى ممن ينتسبون إلى الإسلام ، لذا استحقوا الحب والتقدير من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن كبار المهاجرين وغيرهم رضي الله تعالى عن الجميع .

٦ ـ كانوا رضي الله تعالى عنهم أقربَ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة الحشر (٩) وانظر فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، فقد ذكرت فضائلهم في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة ، مما يصعب ذكره هنا .

وسلَّم في كل موطن ، وكانوا سعيرَ الحرب ، ووقودَ الجهاد ، وأشدَ الناس شكيمة ، وكان النداء فيهم غالباً ، وهكذا قالوا يوم البيعة ، فصدقوا فيما قالوا ، ووفوا بما عاهدوا ، وأدوا الذي نطقوا ، فاستحقوا الوفاء والحب والتقدير ، وأسر القلوب .

٧ ـ إنهم تركوا الدنيا ، وخرجوا منها ،... وتركوا المُلْكَ والسلطان طواعية ، واستأثر بها عليهم غيرُهم ، فما نفسوهم بها ، ولا نافسوهم عليها ، وكأنه أوحي إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، فنطق به ، وأخبر عنه ، لذا عوضهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بما يفعله معهم يوم يلقونه على الحوض : « فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ».

٨ ـ ثم لِما اتصفوا به من صفات الخيرية والأمانة والإخلاص والمحبة ورِقة القلب وجريان الدمع ، وصفاء الإيمان وخالص اليقين ، فلم يحفظ كتابَ الله تعالى في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلا نفر منهم ، وما يؤخذ القرآن إلا عنهم ، مع نفر من المهاجرين رضي الله تعالى عن الجميع ، كانوا عُبّاداً زُهّاداً قرّاءً أهلَ عفة وأمانة ومحبة ،... كانوا طلبةَ آخرة ،... لذا استحقوا الحب والتقدير والعناية .

٩ ـ يضاف إلى ذلك القضاء الرباني ، وما ادَّخره الله تعالى لهم منذ الأزل ، أن يكونوا أنصار الله تعالى وأنصار رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا أكرمهم الله تعالى برسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وخصَّهم به .

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن الطفيل بنَ عَمْرو الدوسيَّ أتىٰ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : يا رسول الله ؛ هل لك في حصن حصينٍ ومنَعَةٍ . فأبىٰ ذلك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للذي ذَخَر الله للأنصار ،...

الحديث ، رواه مسلم[1].

لذا عادوا رضي الله عنهم به صلى الله عليه وآله وسلَّم من مكة ، لـمّا ضنّوا به ، فصدَّقهم الله جل شأنه ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعَذَراهم فيما قالوا ، فرجعوا به صلى الله عليه وآله وسلَّم ومعه كل المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ، فضمته صلى الله عليه وآله وسلَّم أقدس بقعة في الوجود عندهم .

لذا قابلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بما أرادوا وأكرمهم فوق ما أملوا ، ومنحهم أكثر مما طلبوا ، وأعطاهم فوق ما رجوا ،...إلخ. فكان صلى الله عليه وآله وسلَّم أقربَ إليهم في الدنيا وفي الآخرة إن شاء الله تعالى ، فكما أنهم كانوا أقربَ إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا « الأنصار شعار ، والناس دثار » أرجو أن يكونوا كذلك في الآخرة .

وهناك أمور كثيرة كلها تستدعي محبة الأنصار رضي الله عنهم ، وتقديرهم ، والوفاء لهم ، لكن حسبي ما ذكرت للتنبيه والإشارة .

أسأل الله تعالى أن يكرمنا بمحبتهم والحشر معهم تحت لواء النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والمعية معه في جنات الخلد ، آمين ، آمين ، آمين .

☆☆☆☆☆

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ، رقم (١٨٤) وانظر ساكن المدينة المنورة ، ففيه بيان مكانة أهل المدينة المنورة .

الخاتمة، أحسن الله ختامنا جميعاً

وقبل ختم هذه الرسالة أحب أن أضع بعض الأمور المهمة لتكون لنا نبراساً نقتدي بها :

١ ـ من أحبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يلزمه أن يحب كلَّ شيء كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يحبه ، لذا يلزمه أن يحب المدينة المنورة ، كما عليه أن يحب كلَّ شيء فيها ، فيحب جمادَها ، وحيوانَها ، وأشجارَها ، وجبالها ،... وكلَّ شيء كان يحبه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، كما عليه أن يقدمها على كل المدن ، ويقدم ما فيها على سائر ما في المدن ، ولا يكره شيئاً فيها مهما كان ، لأنها مجاوِرَةٌ له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن صِدْق المحبة : أن يحب كلَّ ما يحبه المحبوب .

٢ـ يلزم كل من كان ساكناً في المدينة المنورة أن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الحبَّ الصادقَ العالي ، بكل مظاهره ، من تعظيم وتوقير وتمني حضور زمانه صلى الله عليه وآله وسلَّم وشوق إلى لقائه ورؤيته ،... فهذا وإن كان مطلوباً من كلِّ مسلم ، فهو من ساكن المدينة أشد طلباً ، لما يدفعه إلى ذلك .

كما عليه أن يكون محبّاً لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيترحم عليهم ، ويجلهم ويحترمهم ويعرف مكانتهم وقدرهم ، أما ترى إلى قول الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1].

وإلى قولِ أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : ارقبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلَّم في أهل بيته . رواه البخاري[2].

(١) سورة الشورى (٢٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي غيرهما .

وقولِه رضي الله تعالى عنه : والذي نفسي بيده ، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أحبُّ إِلَيَّ أن أصلَ من قرابتي . رواه البخاري[1].

كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...أذكِّركم الله في أهل بيتي ، أُذكِّركم الله في أهل بيتي ، أُذكِّركم الله في أهل بيتي ». رواه مسلم[2].

كما عليه أن يكون محبّاً للصحابة الذين سكن ديارهم رضي الله عنهم ، ويترضّى عليهم ، ويمسك عما دار بينهم ،... لما ورد من بيان فضلهم ومكانتهم ورضاء الله تعالى عليهم ومحبته لهم ،... ويدخل في ذلك أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، كما بينته في غير هذا الكتاب .

٣ ـ مكانة هذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عند الله سبحانه جل شأنه ، حيث إنه عز وجل غرس محبة نبيه الكريم وطاعته ومعرفته في ذرات هذا الكون ، فعبرت هذه المخلوقات عن تلك المعرفة ، وصدر عنها ذلك الحب بمظاهره .

٤ ـ الإدراك عند هذه الجمادات والحيوانات والنباتات ، حيث عبرت عن حبها بمظاهره المختلفة ، من تقدير وتعظيم وشوق وحزن وحرص وخوف وطاعة واستجابة وسرور وفرح واشتياق ،...إلخ. مظاهر مختلفة لهدف واحد ، ناتج عن المعرفة ، والأمر الرباني بذلك .

٥ ـ على ساكن المدينة أن يقدِّم محابَّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على محابه ، ورغبات النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وهو جزء من حديث طويل .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رقم (٣٦).

على رغباته ، ومصلحة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على مصلحته ، أما يرى ساكن المدينة كيف عاتب الله تعالى أهلَ المدينة حين تخلَّف بعضُهم أو تثاقل عن الخروج إلى تبوك ـ مؤثراً الراحة والسلامة ـ فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(1).

لقد ألحق ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ . للقرب والمجاورة .

ولذا عبَّر الأنصاري رضي الله تعالى عنه عن ذلك ـ في قصة الواهبة نفسها ـ بقوله : يا رسول الله ؛ إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها . حيث قدَّم رغبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ومصلحته على رغبته ومصلحته ، مع شدة احتياجه إليها . وهكذا يلزم من سكن ديارهم .

إنْ لَمْ تَكُونـوا مِـثْلَهُم فَتَشَـبَّهُوا إِنَّ التَّشَـبُّهَ بِالكِـرامِ فَـلاح

٦ ـ على ساكن المدينة أن يكون كثير الصلاة والسلام على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن كثرة الذكر دلالة على المحبة ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ألا ترى أن الله تعالى وصف المنافقين بقلة ذكره ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(2) بينما وصف المؤمنين بكثرة الذكر ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(3).

فكيف وقد أمر الله جل شأنه بالصلاة والسلام على رسوله الكريم صلى

---

(١) سورة التوبة (١٢٠).

(٢) سورة النساء (١٤٢).

(٣) سورة الأحزاب (٣٥).

الله عليه وآله وسلَّم ، وبيَّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كثرة فوائد الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ وقد أوضحت ذلك في غير هذه الرسالة .

٧ ـ على ساكن المدينة ـ خصوصاً ـ أن يكون صورة مصغرة عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأن المحبَ مطيع ، فإذا قصَّر وعصىٰ فقد أساء ، وأوقع من ينتسب إليه ـ وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في الحرج ؛ في الدنيا عند المسلمين البعيدين ، وفي الآخرة عند طلب الشفاعة .

لذا عليه أن يكون قدوة في أخلاقه ومعاملاته وتصرفاته وعقيدته وعبادته ،... وسائر أحواله وأعماله .

لأن من يدعي محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ولم يتخلق بأخلاقه ولم يتصف بصفاته ـ من عقيدته وعبادته إلى لباسه وهيئته ـ فليس بصادق ، لأن شرط المحبة الموافقة ـ على قدر الطاقة ـ ويكون ذلك كله على وفق ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٨ ـ أن يكون ساكن المدينة معتزّاً بنسبته لهذا الدين الذي أكرمه الله تعالى به ، ومعتزّاً بنسبته لهذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لما خصّه الله تعالى بالانتساب إليه ، والذي سخّر الله تعالى له مختلفَ ما يحويه الكون ، فعرفوه وأحبوه وأطاعوه وعظّموه وبجّلوه وكرّموه واشتاقوا إليه وسُرُّوا وسعدوا بقربه ، وحزنوا عندما ابتعد عنهم ،...إلخ.

٩ـ ما هو موقف ساكن المدينة إذا قصَّر في محبته وطاعته وتبجيله واحترامه لهذا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فهل يدع تلك المخلوقات العجماوات تسبقه ، فتكون خيراً منه ؟ أم ماذا يفعل ؟

أسأل الله تعالى أن يأخذ بقلوبنا وأسماعنا وألسنتنا إلى طاعته ، وأن يملك لنا أنفسنا وألسنتنا وجوارحنا عما يخالف طاعته ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ، وأن يحضرنا بالعصمة والتوفيق ، وينطق ألسنتنا بالحق الذي لا تخلطه الشبه ، ولا تميل به الأهواء ، ولا تخونه الغفلات .

اللهم ارزقني الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، واجعله خالصاً لوجهك الكريم ، وحققني فيما أدعو إليه ، واغفر لي ولوالدي ولوالد والدي ولمشايخي وزوجي وأولادي وأحفادي ومن يلوذ بي ، وأكرمنا جميعاً برضاك ، والحشر في زمرة حبيبك المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلَّم يا كريم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة





مصادر الرسالة

- القرآن الكريم .
- الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت باسم الجوابرة ، الرياض .
- الآداب ، للبيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، بيروت .
- آداب الشافعي ومناقبه ، لابن أبي حاتم ، ت الشيخ عبد الغني عبد الخالق .
- الأحاديث الطوال ، للطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، بغداد .
- الأحكام الوسطى ، للإشبيلي ، ت حمدي السلفي ، وصبحي السامرائي .
- الأدب المفرد ، للبخاري ، ت كمال يوسف الحوت ، بيروت .
- الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للسيوطي ، دار التأليف ، القاهرة .
- الإصابة في معرفة الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، القاهرة .
- الاكتفاء ، للكلاعي ، ت محمد كمال الدين عز الدين علي ، بيروت .
- الإلماع ، للقاضي عياض ، ت السيد أحمد صقر ، دار التراث .
- الأم ، للإمام الشافعي ، دار الشعب ، القاهرة .
- إتحاف الخيرة المهرة ، للبوصيري ، ت عبد الرحمٰن سعد ، الرياض .
- إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، عبد العزيز الغماري ، مع الأزهار .
- أخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لابن النجار ، ت صالح محمد جمال ، مكة المكرمة .
- أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وآدابه ، لأبي الشيخ ، ت أحمد محمد موسى ، القاهرة .
- أسباب النزول ، للواحدي ، ت السيد أحمد صقر ، دار القبلة ، جدة .

- أسد الغابة ، لابن الأثير الجزري ، دار الفكر ، بيروت .
- أعلام الحديث ، للخطابي ، ت محمد سعد عبد الرحمٰن ، أم القرى ، مكة .
- الأنوار في شمائل النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للإمام البغوي ، بيروت .
- البحر الزخار ، للبزار ، ت محفوظ الرحمٰن زين الدين .
- تاريخ الطبري ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
- تاريخ المدينة ، لابن شبة ، ت فهيم شلتوت ، نشر السيد حبيب ، المدينة المنورة .
- تحفة الأشراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة .
- الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، بيروت .
- تفسير الطبري ، نسخة دار المعارف ، القاهرة .
- تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت .
- التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني .
- تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .
- التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، ت عدد من المحققين ، المغرب .
- تهذيب تاريخ دمشق ، لابن بدران ، دار المسيرة ، بيروت .
- جامع الأحاديث ، ترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد ، المدينة ، ودمشق .
- جامع الأصول ، لابن الأثير ، ت عبد القادر الأرناؤوط . دمشق .
- جامع بيان العلم وفضله ، للحافظ ابن عبد البر ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
- الجامع لأخلاق الراوي والسامع ، للخطيب البغدادي ، ت محمود طحان .
- جزء الحسن بن عرفة ، ت عبد الرحمٰن الفريوائي ، الكويت .
- حجة الله على العالمين ، يوسف النبهاني ، دار الجندي ، القاهرة .
- حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

ـ الخصائص الكبرى ، للحافظ السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الدر المنثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت عبد المعطي القلعجي ، بيروت .
ـ دلائل النبوة ، للتيمي الأصبهاني ، ت محمود الحداد ، الرياض .
ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم ، ت محمد رواس القلعجي ، حلب .
ـ ديوان الإمام الشافعي ، جمع محمد عفيف الزعبي ، دار النور ، بيروت .
ـ الرحمة المهداة صلى الله عليه وآله وسلَّم ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ زاد المعاد ، لابن القيم ، ت شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، الرسالة .
ـ سبل الهدى والرشاد ، للصالحي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ السنة ، لابن أبي عاصم ، ت الشيخ ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي .
ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، بيروت .
ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة .
ـ السنن ، للإمام الشافعي ، ت خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ السنن الصغرى ، للإمام البيهقي . ت د . عبد المعطي القلعجي .
ـ السنن الكبرى ، للبيهقي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ السنن الكبرى ، للنسائي ، ت عبد الغفار البنداري والكسروي ، بيروت .
ـ سنن ابن ماجه ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .
ـ سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، نشر مؤسسة الرسالة .
ـ السير والمغازي ، لابن إسحٰق ، ت سهيل زكار ، نشر دار الفكر .
ـ السيرة النبوية ، لابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة .

- السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف .
- شرح السنة ، للإمام البغوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط .
- شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت محمد زهدي النجار .
- شرح الشفا ، ملا علي القاري ، بحاشية الخفاجي ، بيروت .
- شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، بيروت .
- الشفا ، للقاضي عياض ، ت البجاوي ، عيسى البابي ، القاهرة .
- الشمائل المحمدية ، للترمذي ، ت سيد الجليمي ، مؤسسة الكتب الثقافية .
- الشمائل المحمدية ، لابن كثير ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
- صحيح البخاري ، ط استانبول ، وبشرح فتح الباري .
- صحيح ابن حبان ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
- صحيح ابن خزيمة ، ت مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- صحيح مسلم ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
- الطب النبوي ، للإمام ابن القيم ، ت الشيخ عبد الغني عبد الخالق .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
- عشرة النساء ، للنسائي ، ت عمرو علي عمر ، مكتبة السنة ، القاهرة .
- عمل اليوم والليلة ، للنسائي ، ت فاروق حمادة ، الرباط .
- علامات النبوة ، للبوصيري ، هو جزء من إتحاف الخيرة ، مكتبة السوادي .
- عيون الأثر ، لابن سيد الناس ، دار المعرفة ، بيروت .
- فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
- فتح القدير ، للشوكاني ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
- فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس .

ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ فضائل المدينة ، للجندي ، ت محمد مطيع الحافظ ، وغزوة بدير .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ كشف الأستار ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي .
ـ الكنى ، للدولابي ، ط الهند .
ـ كنز العمال ، للمتقي الهندي ، نشر مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
ـ لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للزبيدي ، بيروت .
ـ مجمع البحرين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، الرياض .
ـ مجمع الزوائد ، للحافظ الهيثمي ، نشر دار الكتاب ، بيروت .
ـ مجموع الفتاوى ، للشيخ ابن تيمية ، جمع عبد الرحمٰن القاسم وابنه .
ـ محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته بين الإنسان والجهاد ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ المحدِّث الفاصل ، للرامهرمزي ، ت محمد عجاج الخطيب .
ـ المختارة ، للمقدسي ، ت عبد الملك بن دهيش ، مكة المكرمة .
ـ مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، نشر دار الفكر ، دمشق .
ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ المستدرك ، للإمام الحاكم ، مكتبة النصر ، عن النسخة الهندية .
ـ مسند أحمد ، للإمام أحمد بن حنبل ، تصوير بيروت ، وشرح أحمد شاكر .
ـ مسند أبي بكر ، للمروزي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، بيروت .
ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، باكستان .
ـ مسند الإمام الشافعي ، ط بيروت .

ـ مسند الشاميين ، للطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة .
ـ مسند الطيالسي ، تصوير بيروت عن النسخة الهندية .
ـ مسند عبد بن حُميد ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة السنة .
ـ مسند علي بن الجعد ، ت عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح .
ـ مسند ابن المبارك ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة المعارف .
ـ مسند أبي يعلى ، ت حسين أسد ، دار المأمون ، دمشق .
ـ مصباح الزجاجة ، للبوصيري ، ت محمد المنتقي الكشناوي ، بيروت .
ـ مصنف ابن أبي شيبة ، نشر الدار السلفية ، الهند .
ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، بيروت .
ـ المعجم الأوسط ، للطبراني ، نشر دار الحرمين ، القاهرة .
ـ معجم الصحابة ، لابن قانع ، ت صلاح المصراتي ، المدينة المنورة .
ـ المعجم الصغير ، للطبراني ، ت محمد شكور مرير ، المكتب الإسلامي .
ـ المعجم الكبير ، للطبراني ، ت حمدي السلفي ، بغداد .
ـ معرفة الصحابة ، لأبي نعيم ، ت محمد راضي حاج عثمان ، مكتبة الدار .
ـ المغانم المطابة ، للفيروزآبادي ، نشر دار اليمامة ، الرياض .
ـ مكانة الحرمين الشريفين ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ مكانة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الأنبياء عليهم السلام ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ المنتقى ، لابن الجارود ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني .
ـ منحة المعبود ، للشيخ الساعاتي ، القاهرة .
ـ موارد الظمآن ، للحافظ الهيثمي ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر .

ـ النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، السيد محمد بن جعفر الكتاني ، بيروت .
ـ وفاء الوفاء ، للسمهودي ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت .

☆☆☆☆☆

فهرس الرسالة

الموضوع	الصفحة



قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة العاشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة ، بجدة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، والرد على منكريها ، نشر دار القبلة .
١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . طبع مطابع الرشيد .
١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).
٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثانية . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).
٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ (تحت الطبع).
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ وبين المدينة المنورة) نشر دار القبلة .
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٢٨ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٢٩ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٠ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣١ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٣ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٤ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٥ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٣٦ ، ٣٧ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).

٣٨ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .

٣٩ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .

٤٠ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).

٤١ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٢ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٣ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٤٤ ـ شرح أربعين حديثاً ـ مكتوب على الآلة الكاتبة .

٤٥ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٤٦ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق (تحت الطبع).

٤٧ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٤٨ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة .

٤٩ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٠ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥١ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة .

٥٢ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٣ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٤ ـ الحديث المتواتر .

٥٥ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٥٦ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٥٧ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٥٨ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٥٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٠ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦١ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٢ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٣ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ بين الإنسان والجماد :

٦٤ ـ الإدراك عند الجمادات .

٦٥ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٦٦ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٦٧ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ز ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٦٨ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٦٩ ـ حقوق الزوجين .

٧٠ ـ المرأة في القرآن .

٧١ ـ الإحسان في القرآن .

٧٢ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٧٣ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٧٤ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

ح ـ الفتن وأشراط الساعة :

٧٥ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة .

٧٦ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٧٧ ـ أشراط الساعة .

٧٨ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٧٩ ـ أخبار الدجال .

٨٠ ـ الردة قديمها وحديثها .

٨١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

☆☆☆☆☆